الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../ .....

رقم التسجيل:398456676

رقم التسجيل:397454844

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

التجريب وإشكالية التجنيس في سيرة (الضوء الأزرق) لحسين جميل البرغوثي

إعداد الطالبتين:

نعيمة شبيكة

فايزة بن عزوز

– أمام اللجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
ايمان روباش	استاذمحاضر ب	جامعة المسيلة	رئيسا
د. عباس بن يحيى	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
جاب الله سمير	أستاذ مساعد	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية 1444 هـ/1445 هـ 2024/2023

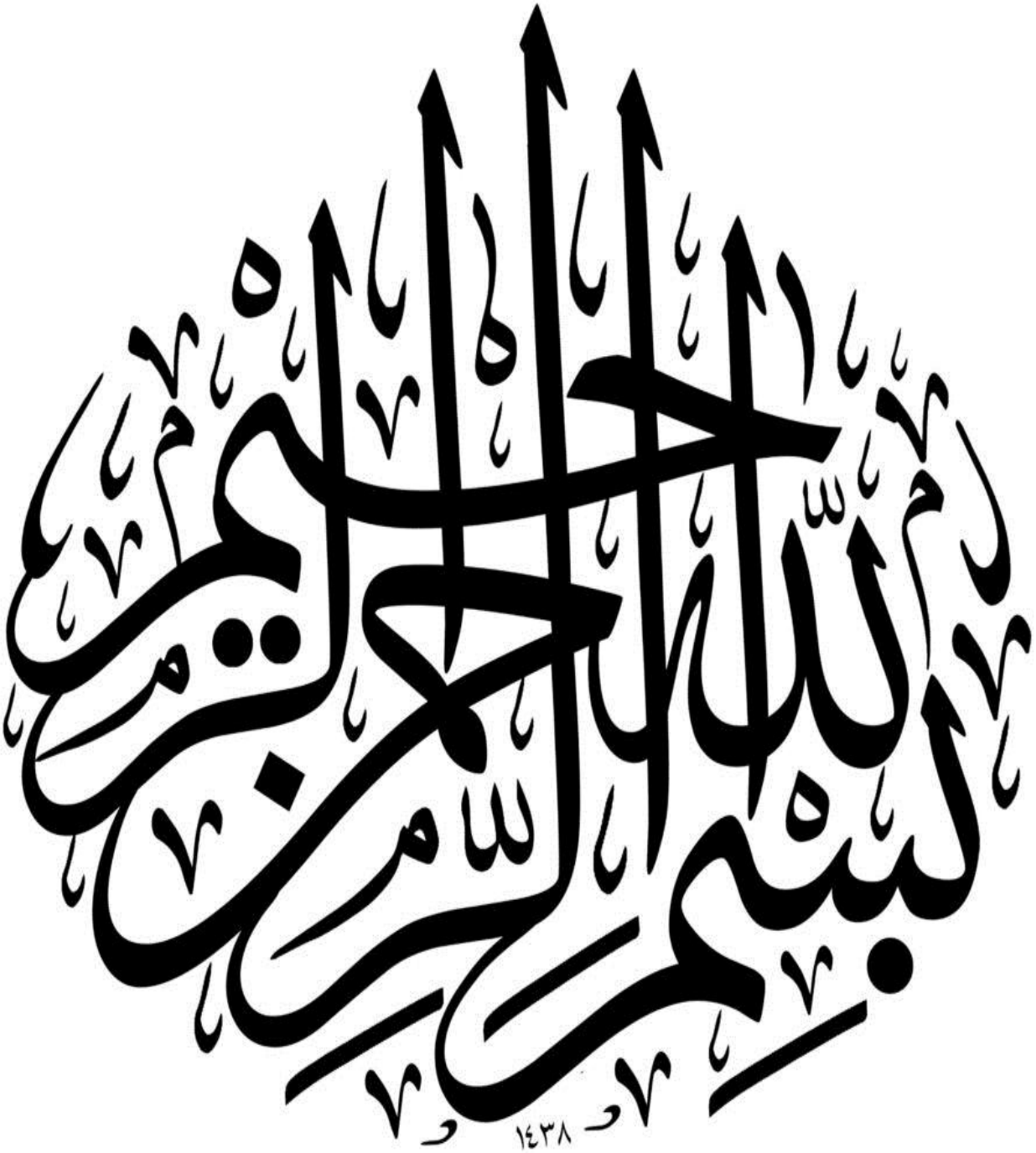
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر و عرفان

قال الله تعالى " لئن شكرتم لأزيدنكم"

الحمد الله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وشكره على توفيقه لنا في إتمام العمل واقتداء برسوله الذي حثنا على الشكر كما قال " الشكر قيد النعمة وسبب دوامها ومفتاح المزيد منها"

نسجل شكرنا وتقديرنا إلى الأستاذ المشرف "د.عباس بن يحيى" .

والى الأستاذة شمس بن يطو التي وجهتنا ولم تبخل علينا بنصائحها

إهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على

أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آلهوصحبه ومن

اتبعهم إلى يوم الدين.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلىالذينقالفيهماللهعزوجل:

"وقلربارحمهماكمارباينيصغيرا"...

أبي،....حفظه الله

أمي... حفظها الله

وإلى زوجي

وإلى أبنائي واخوتي وكل عائلتي صغيرا وكبيرا

إلىكلمنيحملولوذرة حبللهورسوله

محمدصلىاللهعليهوسلم.

فايزة بن عزوز

إهداء

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة

و السلام على

اشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه و من

اتبعهم إلى يوم الدين.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلى والدي رحمهم الله إلى إخوتي وأخواتي

إلى إبنتي الغالية:

"صفوت الإيمان"

إلى كل من يحمل و لو ذرة حب لله ورسوله

محمد صلى الله عليه و سلم.

شيكة نعيمة

مقدمة

أولى المهتمون بالسرد العربي أهمية كبيرة للرواية باعتبارها جامعة الفنون الأدبيّة، فالكثير يعتبرها ديوان العرب الجديد لما تحتويه من قدرة على وصف المشهد العربي في تحولاته المختلفة، حيث اعتمدت تقنيات حديثة دعمت بنيتها، وأسهمت في تطورها وتغلغلها داخل المجال الفني مدعمة بذلك الأجناس الأدبية وأبحاث الدارسين الذين قاموا بتسوية معالم السرد واتخذوه منهجا تنطلق منه كل الفنون.

ومنالإبداع أن يحول الكاتب حياته الخاصة موضوعا لسيرته الذاتية، وهذا ما اعتمدت عليه كل السير الذاتية في الأدب الفلسطيني، حيث قامت على نقل الوقائع التي يعيشها هذا الشعب في ظل الاستعمار الصهيوني، فلمع نجم أدباء جعلوا القضية الفلسطينية ضوءاً اهتدوا به لكتابة سيرهم الذاتية، نذكر أهمهم: إبراهيم نصر الله، إحسان عباس ومريد البرغوثي، فدوى طوقان وآخرون كثر.

و منه كان موضوع بحثنا يدور حول هذا الجنس في الأدب الفلسطيني، اخترنا له العنوان التالي :**التجريب وإشكالية التجنيس في سيرة (الضوء الأزرق) لحسين جميل البرغوثي**" .

نسعى من خلال هذا البحث الإجابة عن الإشكاليةالتالية:أين يظهر التجريب في رواية الضوء الأزرق؟ وإلى أي جنس أدبي تنتمي هذه الرواية؟

ومن الأسباب التي قادتنا لدراسة هذا الموضوع بعد اقتراح الأستاذ مشكورا على هذا التوجيه، الكم الهائل من الأبحاث التي سلطت الضوء على هذا الأدب، إعجابنا بمؤلفات حسين البرغوثي، إيماننا العميق والأزلي بالقضية الفلسطينية،كذلك شغفنا بقراءة الروايات فتوقعنا أنها رواية عادية لكننا فوجئنا بأنها خليط أدبي قيم، لا ننكر أن ما دفعنا لقراءتها أكثر الطرح الجيد للعنوان الضوء الأزرق سيرة.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة مسبقاً، اقتضى البحث أن نضع خطة تقوم على مقدمة،مدخل،فصلين، خاتمةوملحق.

جاء الفصل الأول بعنوان: هوية نص (الضوء الأزرق)، أما الفصل الثاني فقد عنوناه بالميثاق السيري والمتعاليات النصية.

واستعنا في سبيل ذلك على المنهج التاريخي وكذا النفسي بالإضافة إلى آليات الوصف والتحليلفي البحث ورصدووصف حركة هذا الجنس وتطوره.

ومن الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز هذا البحث: ضيق الوقت، كثرة المراجع، صعوبة فهم الرواية بسبب غموضها، انقطاعنا عن مقاعد الجامعة لأزيد من عشرين سنة كان من الصعوبات التي قد تُظْهِر نقصا في بحثنا.

ورغم ذلك فقد تم انجاز هذه الدراسة بعون الله واستطعنا اجتياز تلك العقبات، ونعتذر عن أي خطأ. ولايسعنا في الأخير إلا أن نقدم ثناءنا وشكرناالله عز وجل، كما نوجه شكرنا وامتناننا للأستاذ المشرف " عباس بن يحيى"، والشكر موصول كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة.

مدخل

أولا: مفهومالتجريب التجنيس والسيرة الذاتية

1-مفهوم التجريب:

ورد اصطلاح التجريب في لسان العرب لابن منظور: "رجل مجرب قد بلى ما عنده ومجرب فقد عرف الأمور وجربها، والمجرب الذي جرب في الأمور وعرف ما عنده"[1] ونلاحظ من خلال المعاني المعجمية أنها تصب في معبر واحد وهو الاختبار من أجل الوصول إلى المعرفة.

ويحمل مصطلح التجريب العديد من المفاهيم والمعاني وذلك لاستخدامه في مجالات مختلفة ومتنوعة، فالتجريب في العلم هو:"اختيار منظم لظاهرة أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة علمية دقيقة ومنهجية لتكشف عن نتيجة أو تحقيق غرض معين"[2].

يحمل التجريب في المجال العلمي دلالة الاختبار والملاحظة والنتيجة ، أما في مجال الأدب فيذكر أن ايميل زولا هو من أضاف مصطلح التجريب إلى الرواية وذلك من خلال كتابه الرواية التجريبية سنة 1889 ، فالاستعمال الأول اقترن بمشروع "زولا "الرامي إلى بلورة المذهب الطبيعي للوصول إلى العلمية في الأدب على غرار ما أنجزه علماء الطبيعة و الطب ،وكان زولا يقصد من وراء هذا التوظيف "أن تكون لغة الرواية ثمرة تجربة مبنية على تجميع الملاحظات والحقائق والمعطيات قبل صياغتها ، في نسق روائي يضفي عليها صدقية تضاهي صدقية الحقائق المتصلة بالتجارب العلمية "[3].

فزولا هنا شبه التجريب بالعلم: وأن التجريب مبنيا على جمع الملاحظات والحقائق واستقصاء الظروف المحيطة بالمجتمع، ثم بلورتها في نص سردي روائي يتميز بالصدق والواقعية.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط،دار المعارف، مج 1،بيروت لبنان،مج1،مادة ج،ر،ب،2016،ص262

[2] إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات المعجم الوسيط، ج1المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،تركيا،ص114.

[3] محمد برادة،الرواية العربية ورهان التجديد،الهيأة المصرية العامة للكتاب،مصر ط2012،ص48

2-مفهوم التجريب الروائي :

يعرف صلاح فضل التجريب الروائي بقوله :"التجريب قرين الإبداع ،لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة ، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل ، مما يتطلب الشجاعة والمغامرة ،واستهداف المجهول دون التحقق من النجاح "[1] . يشير هذا التعريف إلى أن التجريب هو نفسه الإبداع فهو يقوم على خلق إنتاج أساليب ووسائل حديثة يتجاوز من خلالها السائد والنمطي، يخوض غمار المجهول ليصل إلى كل ما هو جديد ومغاير.

يرى روجر آلان :"أن التجريب في الرواية هو من السمات الذاتية لها كنمط أدبي "[2] فالتجريب هنا لصيق بالرواية إذ لا يمكن وجود رواية دون تجريب، فهو من الصفات الأساسية التي تمتاز بها كل رواية عن غيرها من الروايات الأخرى.

يتبين لنا من خلال هذه المفاهيم أن التجريب الروائي هو نظرية حديثة تقوم على التمرد وعلى القيم الثابتة وخلق عوالم وأشكال جديدة إضافة إلى التحرر من قيود الشكل والمضمون وكسر السائد والنمطي ، والخوض في غمار المجهول بغية منح النص الروائي جماليات فنية وأدبية والتخلص من رتابة السرد النمطي .

3-التجريب في الأدب العربي : يمكننا أن نحدد مفهوم التجريب في العالم العربي ، باعتباره حركة واعية جاءت لتعبر عن وعي عميق بتغير الواقع ، حيث يرى محمد برادة " أن التجريب لا يعني الخروج عن المألوف بطريقة اعتباطية واقتباس صفات و أشكال جزأها آخرون في سياق مغاير ، إن التجريب يقتضي الوعي بالتجريب ، إن توفر الكاتب على معرفة الأسس النظرية لتجارب الآخرين ، وتوفره على أسئلة خاصة "[3] .

---

[1] صلاح فضل، لذة التجريب الروائي،مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، الرياض السعودية،ط1،2005،ص3

[2] روجر آلن، الرواية العربية،ترجمة إبراهيم المنيف،المجلس الأعلى للثقافة ط2 ،1997

[3] محمد منصور ،خرائط التجريب الروائية،فاس،ط1 ،1999،ص24 .

فمحمد برادة هنا يُحتم على الأديب أن يكون دراية بالأسس النظرية، حتى يستطيع تطبيقها على أرض الواقع، ويرى عبد الحميد عقار " أن قانون التجريب سلسة حسن التقنيات ووجهات النظر تسعى إلى تجاوز الفهم القائم على العالم ووضعه موضع تشكيك وتساؤل "[1] .

أما صلاح فضل أن التجريب هو:" ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، والفن التجريبي يخترق مساره ضد التيارات السائدة "[2].

وهذا يعني أن الأديب المجرب هو الذي يعزف عن التقاليد الواقعية ويتجاوزها، وذلك بالإتيان بالجديد ، والتجريب عند شوقي بدر يوسف " لا يقتصر على الشكل بل يتجاوزه ،ولا يكتفي بالمضمون بل يتعداه ، فهو مشروع وواقع يبحث دائما عن الاختبارات الأساسية "[3].

وهو يرى أن الأديب المجرب هو من يعود إلى الماضي، ويستمد ممن سبقوه، وإضافة ذخيرته الثقافية يشكل بذلك حلقة تواصل بين الماضي والحاضر.

من يقرأ شعر البرغوثي يجد نفسه أمام شاعر تجريبي بلا حدود شاعر مكون بها حس الاختلاف والتغريب ، لكنهما تجريب وتغريب ، ينطلقان من عباءة الأسلاف، ومن ثقافة عالمية حيث أضاف إليها حداثته المميزة ، وإذ نتأمل في تجربته المتمثلة في آخر مجموعاته الشعرية ، سنرى كم هو فصيح وعميق هذا الألم الذي كان يعبر عنه هذا الشاعر .

4-مفهوم التجنيس :انتعش مصطلح التجنيس في العديد من الدراسات ، والأبحاثالنقدية المعاصرة ، فيعد التجنيس والتهجين الأدبي كما يحلو لبعض النقاد تسميته، واقع أدبي فرضته الحداثة ، وهو لا يقتصر على تطعيم النص الروائي ببقية الأجناس السردية الأخرى كالحكاية المقامة ،السيرة ، بل أكثر من ذلك فالنص المهجن نص عبري بامتياز حيث يجنس كل العوالم المحيطة به ، وهو كما وصفه شكري عزيز بأنه "مفارقات بنائية أو نسيج سردي جديد

[1]محمد منصور ،خرائط التجريب الروائية،فاس،ط1 ،1999،ص24 .

[2]صلاح فضل،لذة التجريب الروائي،للنشر والتوزيع الرياض السعودية،ط1 ،2005،ص3

[3]شوقي بدريوسف،الرواية التجريبية،مجلة الهدى دمشق،العدد15، 1997،ص 26

تدخل في تكوينه بصورة أساسية المفارقات المتعددة، وعناصر وأساليب من الفنون السردية القديمة "[1]

فهذا النسيج النصي يقوم على سمة التكرار والتحويل في بنايته التي يتحكم فيها عنصر الزمن والتاريخ ، وهذا ما دفع شيفر "لاستخدام مصطلح التجنيس بدل الجنس ، الذي اعتبره معياريا وغير قادر على استعاب المقومات التجنيسية الجديدة التي تتضاعف في النصوص الأدبية العظيمة "[2]

يُبَيِنُ محمد القاضي العلاقة الموجودة بين أصل مسألة التجنيس (التهجين) بين الجنس الأدبي والأثر وما لهذه العلاقة من سمات أدبية وفنية تجعل من الواجب ومن الأكيد الانقلاب من جنس ....

5-التجنيس عند العرب : بالعودة إلى المدونات النقدية التراثية القديمة، نجد إشكالية التجنيس الأدبي في النقد مسألة قديمة في تاريخ الأدب العربي ونقده وهناك الكثير من النقاد الذين أنكروا وجود نظرية الأجناس والتجنيس .

ومن بين الذين اهتموا بقضية الأجناس نذكر منهم الجاحظ ،قدامة بن جعفر ،أبوهلالالعسكري،ابن سينا والفرابي وغيرهم .

احتلت قضية التجنيس الأدبي مركزا مهما في نظريات الأدب على اختلاف مسمياتها وتطورها التاريخي ، وتنوعها .....وقوانينها فهي " عملية مقننة بمجموعة من القوانين والمعايير والضوابط ، المؤشرات والآليات المحكمة"[3].فهي ليست عشوائية بل منظمة .

والهدف المرجو من هذه الدراسة التي اندثرت من خلال التهجين السردي الذي بواسطته يمكن أن تستعيد هذه الأجناس حياتها من جديد وتنتفض راجعة إلى دنيا الناس بشكل جديد ونفس جديدة.

---

[1] مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،المجلد 11 ،عدد 3 ،السنة 2022 ،ص 229-250

[2] مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،المجلد 11 ،عدد 3 ،السنة 2022 ،ص 229-250

[3] جميل حمداوي،نظرية الأجناس الأدبية ،ص 93

ثانيا: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث

1-مفهوم السيرة الذاتيةو أنواعها:

1-1-**مفهوم السيرة الذاتية:** تعرف السيرة في كتب التراجم والسير ب الترجمة الذاتية ، "وهي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه ، فيسجل حوادثه وأخباره ويسرد أعماله و آثاره ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته ، وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضؤل تبعا لأهميته"[1] . وبالتالي فهي بعيدة عن الموضوعية.

ويعرفها الناقد فيليب لوجون " هي قصة استعادية نثرية يروي فيها شخص حقيقي قصة وجوده الخاص مركزا حديثه على حياته الفردية ، وعلى تكوين شخصيته بالخصوص"[2] .

ومن تعريف الناقد لوجون ،نستخلص أن السيرة الذاتية تقوم على ضوابط وقوانين ، وقد ذكرها شكري المبخوت في نقاط هي :

"-**شكل الكلام:** إن السيرة الذاتية هي أولا هي قصة وشرطها ثانيا أن تكون منثورة لا منظومة

-**موضوعها:** مسار السيرة الذاتية حياة المتكلم الفرد وتاريخ شخص ما .

-**وضعية المؤلف:** يجب أن يكون الكاتب في السيرة الذاتية يحيل اسمه على شخص حقيقي متطابق مع الراوي.

-**وضعية الراوي:** يجب أن يكون الراوي في السيرة الذاتية متطابقا مع الشخصية الأساسية أولا ومتشبثا بالمنظور الاستعادي للقصة ثانيا "[3]

ومنه نستنتج إن للسيرة الذاتية مقومات تستند عليها ، ولا يمكن أن تطلق على أي جنس مصطلح السيرة الذاتية الا بتوفر هذه الشروط ، التي أقامها الناقد فيليب لوجون

" قد حاول معظم النقاد حصر أهم معالم السير الذاتية في نقاط كمقومات أساسية

---

[1] محمد عبد الغني حسين،التراجم والسير،دار المعارف ،القاهرة 1955ص23

[2] شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الاتي ،السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، دار الجنود للنشر، تونس 1992،ص11

[3] المرجع السابق، ص 11

للسيرة الذاتية على الرغم من الصعوبات في تحديد هذه المقومات والسبب يعود الى مرونة هذا الجنس "[1]

2-الفرق بين المطلحات المتداخلة مع السيرة الذاتية:

اهتم النقاد بقضية الأجناس الأدبية وتداخلها، حيث استعصى عليهم الأمر في التفريق بين الأجناس المتشابهة والمتداخلة في بعضها ، وهذا ما ينطبق على السيرة الذاتية، وعليه لابد أن نقف أمام تلك الأنواع الأدبية التي تتقارب مع السيرة الذاتية ، وتتداخل بحكم أن لها نفس الشروط وتقوم على نفس الخصائص ،وتجدر الإشارةإلى تلك الأنواع :

1-**المذكرات** : يعرفها عبد النور جبور بأنها " سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف ، وكان له دور وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى ، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية البارزة ،أو معينا بالشخصيات المعاصرة للكاتب "[2] .

ومنه نستنتج أن المذكرات تعتمد كليا على الأحداث الحقيقية والتأريخ ،عكس السيرة التي تضيف إلى ذاكرة الأديب في تتبع الأحداث ، وعليه تكون المذكرات أكثر صدقا من السيرة الذاتية ،لكن الأخيرة أكثر فتية منها ، فالسيرة الذاتية ليست مجرد كتابة تاريخية أو مجرد تصوير للواقع بل هو الغوص في ذات الأديب .

2-**الاعترافات** : في البداية يمكننا القول أن الاعترافات ترتبط بالجانب الديني أكثر ، فنجدها عند رهبان الكنيسة عند المسيحيين ، وعند المتصوفين .

ومما سبق نتوصل إلى أن الاعترافات كانت تدور حول أحداث معينة من حياة صاحبها وترتبط بجوانب إيمانه وشكه وخوفه، لكنها لم تمس كل جوانب حياته على عكس السيرة، وهي بالتالي جزء من السيرة وليست مرادفا لها .

---

[1] زاوش رحمة التمرد في السرد السيرذاتي النسائي العربي المعاصر،سيرة نوال سعداوي أنموذجا ، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية وادابها جامعة السانيا ،وهران 2011/12/20 ،ص13 .

[2] عبد النور جبور ،المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان،ط8، 1984 ،ص246

والاعترافات في العصور الوسطى، " تعني عناية شديدة بتصوير تجربة الكشف الصوتي وفي تجربة تشبه تجربة الإلهام لدى الفنان، حافلة بالصدق "[1].

فهي تمس الجانب العقائدي والديني لذا ارتبطت برجال الدين، ولم ترتبط مع غيرهم .

3- **اليوميات:** هي كل ما يكتب بشكل متقطع أو كل يوم بشكل متسلسل " تحي فيها الأحداث على نحو متقطع ورتيب "[2]. وتتقاطع مع السيرة الذاتية في ذكر ما يتعلق بحياة فرد ما فالتشابه قائم هنا فقط في ذكر حياة الفرد والاختلاف قائم على أوجه أخرى ، "بدأ الاهتمام بكتابتها في أوائل القرن السابع عشر ، وكان أصحابها يحرصون على عدم نشرها ، والى السير ويليام دوجيل في ظهور اليومية الحقة في الأدب الانجليزي ، وقد سجل فيها 45 عاما من حياته التي انتهت في سن 82 ولم تنشر يومياته إلا بعد وفاته "[3] .

يمكن القول أن اليوميات هي أقل فنية وجمالية من السيرة الذاتية.

وخلاصة القول أن السيرة الذاتية هي جنس أدبي يستوفي كل المعايير التي تجعله جنسا متميزا عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى.

ولكن رغم هاته الأسباب التي تعود في أصلها إلى اختلاف الرؤى المنهجية والتصورات النقدية إلا أنّها لم تقف حائلا في إعطاء بعض التعريفات فبعبارة مقتضية يصف "توماس كارلايل" السيرة قائلا: « السيرة؛ حياة إنسان»[4]، حيث تتخذ السيرة من الحياة الشخصية مادة حقيقة سير ذاتية هو في الواقع تلك الرؤية التأويلية التي يجتهد كل مترجم لذاته من خلال إجلائها في اختزال العالمين الذاتي الداخلي، والبشري الخارجي»[5].

---

[1] يحيى ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، دار أحياء التراث العربي، بيروت لبنان ،ص13

[2] شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص18

[3] يحيى ابرهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية ، ص 15

[4] محمد القاضي: السيرة الذاتية، مقاربة الحد والمفهوم، دار صامد للنشر، تونس، ط 03، 2010، ص 25.

[5] جليلة الطريطر: مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات)، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2004، ص 507.

إنّ السيرة الذاتية إذن لا تقتصر على الذات فقط دون أن تلامس التجربة الإنسانية عامةفالذات دائمة الذوبان في المجتمع مادامت العلاقة أساسها التأثر والتأثير،الانفعال والتفاعل فقدرةالمترجم هي ذكائه في الوصل بين العالمين برابط خفي أين ينصهران في قالب واحد.

3-تداخل السيرة الذاتية بالرواية:

تعتبر إشكالية تداخل الفنون السردية من أصعب القضايا استعصاء على النقاد وزئبقية مفاهيمها على الرّغم من سعيهم الحثيث لوضع معايير ومقومات تُصنّف وفقها خاصة السيرة الذاتية إذ لم تعد تقف عند تلك الحدود التي رسمها رائد منظريها فيليب لوجون، بل أضحت تغترف من جميع خصائص وأساليب الأجناس السّردية الأخرى، الأمر الذي يدعو إلى طرح تساؤلات جوهرية؛ أهمها: ما هي الحدود الفاصلة بين هذه الأجناس السردية؟ وما مدى تفاعلها وتأثيرها في انزياح جنس السيرة الذاتية نحو هذه الأجناس خاصة الرّواية باعتبارها الفنّ الأكثر تماهياً وتداخلا معها .

4-أهم نصوص السير الذاتية في الأدب العربي الحديث:

تعتبر السيرة من الأجناس التي ألهمت الدارسين والباحثين الذين بحثوا وطوروها منذ القدم وقد ازدهر في مطلع القرن العشرين فنجد أول الذين كتبوا في السير هو:

-محمد صلى الله عليه وسلم، محمد حسين العقاد، عبقرية عمر عبقرية محمد لعباس محمود العقاد. ثم توسعت تلك الكتابات والسير إلى الكتابة عن كل الشخصيات التاريخية كالصحابة، الخلفاء والملوك...

لا نستطيع الحديث عن السيرة الذاتية في العصر الحديث دون الوقوف على قامة من قامات من كتبوا في هذا الفن لطه "حسين" في كتابه "الأيام" 1927. صدر ضمن ثلاث كتب منفصلة، يتميز كتاب الأيام بلغته العربية الفصيحة ويرجع "إحسان عباس" مزايا كثيرة يتوفر

عليها نص "الأيام" منها تلك الطريقة البارعة في القص والأسلوب الجميل، والعاطفة الكامنة. في ثناياه المستعان أحيانا حتى تطغى على السطح، وتلك اللمسات الفنية في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص، والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جاد حتى تظهر وكأنها غير مقصودة».[1]

ولأن كتاب الأيام صورة واعية للصراع بين الإنسان وبيئته وكاتبه يعمد عمدا إلى تصويرذلك الصراع».[2]

وكذلك يصف "طهحسين" برقة ودقة حس كيف كان ينمو هذا الطفل الضرير، وكيف أخذيسيطر تدريجيا على العالم الخارجي من حوله.

وبالحديث عن منهج "طهحسين" فإنه قد مزج بين الشكل الروائي والأدب الاعترافي، أما عن الأول فكتابته لسيرته على شكل فصول حسب ما تقتضيه الرواية، أما الثاني فهو اعترافه ومكاشفته لحياته في هذه السيرة فهو أتيح له كما أتيح لجان جاك روسو" تبيان ماهية الطبيعي للمجتمع الفاسد».[3]

نسعى من خلال هذه الدراسة إبراز الميثاق السيري عند طه حسين من خلال كتابه الأيام فهو يعد النص الأدبي الأول ، وهو مؤسس السيرة الذاتية وقضاياها، فقد كان إلهامه بالثقافة الفرنسية .

دافع كتابة الأيام هو تلك الضجة التي أحاطت بكتابه الشعر الجاهلي، حيث أثار الكتاب خلافات بين أوساط معينة، فتولد لديه شعور بالظلم والتي ذكرته بمعاناته في طفولته وشبابه. وقد اعتمد في كتابه الأيام على ضمير الغائب وكثر استخدامه، وهذا أسلوب يضفي على العمل نوعا من الغموض لا يفهم من قراءة النص لأول مرة، لإجلاء هذا

[1] إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، لبنان، 1986، دط، ص 142.

[2] المرجع نفسه ص 143.

[3] شرف عبد العزيز: السيرة الذاتية، ص 69

الغموض وفهم المكتوب ، كما أن الأسلوب في السرد يجعل الكاتب أقرب إلى المصداقية يتيح له الفرصة بأن يستذكر حياته ويعيش الشخصية التي كان يعيشها قبل وقت كتابة السيرة .

لذلك فقد اعتبر كتاب الأيام لطه حسين النص التأسيسي الأول لجنس السيرة الذاتية العربية في الأدب العربي الحديث ، وقد اختلف النقاد في تصنيفه أهو رواية أم سيرة ذاتية ، فمن ناحية أنه عمل يحقق الشروط الفنية للرواية ، ومن ناحية أخرى إن الطريقة السردية التي تبناها طه حسين ، والتي تتميز بإخفاء ذات الكاتب جعلها تفقد عنصرا من عناصر السيرة الذاتية القائمة على الحقيقة والرواية الفنية تعتمد على الخيال ، لكن لا يمكن إنكار أن الأيام حققت أساسيات وتقنيات السيرة الذاتية ، كما يمكن القول أنه كتب سيرته الذاتية بأسلوب قصصي روائي ، وقد أبدع أبهر القارئ وبذلك خالف الصورة التقليدية للجنس الأدبي ووضع انتصارا رائعا أسماه النقاد السيرة الذاتية الروائية .

من الأدباء الذين دونوا السيرة الذاتية الأديب أحمد أمين ، كان في عمر الثامنة والستين حين قرر كتابة حياته ، وأن يستعيدها متأملا مغزى الرحلة ومعناها ، فشعر بقرب النهاية ، فرغب في استعادة كل شيء خاصة الأحداث الصادمة التي عاشها أحمد أمين والتي نذكرها : ابتعاد الكثيرين عنه خاصة بعد عدم امتلاكه لمنصب ينفعهم، وكذا الجلطة التي أصابته بشلل نصفي كل هذه الأزمات قاومها فقط بالكتابة ، وهو من المترجمين لذاتهم ، الذين يبرمون اتفاقا مع ميثاقهم السير ذاتي بالوضوح التام ،فلا يبقى هناك مكان للشك في جنس العمل الأدبي، إذ يقول :"وترددت في نشره .ما للناس و "حياتي"؟ لست بالسياسي العظيم ولا ذي المنصب الخطير الذي إذا نشر مذكراته، أو ترجم لحياته ...ولا أنا بالمغامر الذي استكشف مجهولا من حقائق العالم فحاول وصفه ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد" [1] فهو يروي أحداثا لتكون عبرة، وينشر مذكراته لتكون درسا.

[1] محمد منصور ،خرائط التجريب الروائية ،فاس،ط1 ،1999،ص24 .

إن الأحداث التي يعيشها السارد ندخل في المقامات السردية الداخلية ،فيصبح فيها السارد مسرودا له والسارد في مثل هذه الحكايات الثانوية ،إما أن يكون من الشخصيات غير المركزية أو ليس السارد محددا ، ربما لكونه كائنا جمعيا "وأما أسرة أمي فأصلها على ما رُويَ لي من تلا من أعمال المنوفية ، ولا أدري أهجرتها أم هجرتها أسرة أبي فرارا من الظلم لشيء آخر"[1].

فالجملة الأولى تشمل على خطا السارد غير المحدد في الزمن الماضي، يسترجع الأحداث التي سبقت الحياة الشخصية للشخصية المركزية، والجملة الثانية بالفعل المضارع خطاب أنا الساردة في الزمن الحاضر.

توجد في " حياتي " بعض فصول يمكن أن نطلق عليها السارد لأننا نسمع فيه صوته ولا نرى الأحداث إلا بوعي المثقف .

ونجد كذلك في هذا العصر الكتابات الذاتية بصورة وأخرى. أمثال محمود عباس العقاد (حياة قلم)، توفيق الحكيم (زهرة) العمر،(قصة حياة) إبراهيم المازني، ميخائيل نعيمة (سبعون)، مصطفى الحيواني (قصة حياتي) (رحلة جبلية رحلة الأصعب) فدوى طوقان، والذين أبرزوا في كتاباتهم السيرة الذاتية أو المكون السير ذاتي حيث اتخذوا من ذواتهم موضوعا لأعمالهم.

من كل ما سبق إن ما يفصل السيرة الذاتية عن الأجناس الأدبية الأخرى هو الميثاق السيرذاتي أو التطابق بين الأطراف الثلاثة :المؤلف ،الشخصية والسارد وهذا يكون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كضمير المتكلم أو ذكر العنوان على الغلاف وكلاهما استعملهما أحمد أمين في "حياتي".

فيمكن أن يكون السارد ينطق بضمير المتكلم إلا أنه تتباعد رؤية السارد عن الشخصية المحورية ، وقليلا ما نجد كاتبا نجح في تقليص المسافة بين البؤرتين السرديتين وأن يطابق بينهما ، وأحمد أمين استطاع أن يقرب الهُوَةَ بين الشخصية المركزية طوال مختلف مراحل

[1] محمد منصور ،خرائط التجريب الروائية ،فاس،ط1 ،1999، ص 17 .

الحياة والسارد، والسبب الرئيسي هو أن السارد ينظر إلى الأحداث من رؤيته المنطلقة من الخطاب التفسيري الإيديولوجي، فصوت السارد هو الذي يُهَيمنُ في السيرة الذاتية.

ويمكن القول بأن السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث اتخذت عدة مميزات نذكرهاكالآتي:

-تمرد الكتاب المحدثين والثورة على ما هو سائد في بيئتهم وقد أفصحوا على ذواتهم في قوة وصدق وصراحة إلى حد بلغ بعضهم درجة التهريج بالعيوب والنزوات الشخصية ويمثل كل من هذا توفيق الحكيم في (زهرة العمر) وميخائيل نعيمة في «سبعون».[1]

5-**الأسلوب التفسيري التحليلي:** وهو يقوم على تفسير وتحليل أفكاره ومواقفه وواقعه، وقد اختار كثير من كتاب السيرة الأسلوب التحليلي لترجماتهم منهم: العقاد (أنا)، أحمد أمين(حياتي)، (تربية سلامة موسى) لسلامةموسى».[2]

6 -الأسلوب التفسيري التصويري:

وهوأسلوبيجمع بين المقالة التفسيرية التحليلية وبين طريقة الرواية الفنية القائم على تصوير المواقف والتجارب والأماكن والشخصيات والاستعانة بتقنيات الرواية كالحوار والخيال ومن كتب في ذلك نجد أحمد فارس الشدياق في (الساق على الساق فيما هو علىالفارياق).

7-الأسلوب الروائي: وعلى حسب قول يحيى عبد الدايم أنه هو الأسلوب الذي يختاره الكاتب المتمرس على معالجة الفن الروائي والكاتب حين يختار هذا القالب أداة، يهدف من ورائها إلى التعبير عن ترجمته الذاتية فإنه يخلق به أن يكشف عن غايته فيفصح إفصاحا أنه يصوغ سيرة حياته الحقيقية، على هذا النحو الروائي»[3].

---

[1] يحيى إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية، ص 111.

[2] المرجع نفسه: ص114.

[3] المرجع نفسه: ص 115.

أي أن كاتب السيرة عليه أن يبين من خلال كتابته لسيرته في قالب روائي أنه يستعير جميعآليات الرواية في خدمة هذا الفن.

الفصل الأول

أولا: العنصر السردي الروائي:

1-بنية الشخصية :

1-1-مفهوم الشخصية: تلعب الشخصية الدور الرئيسي في البنية السردية للخطاب الروائي، حيث تعد المحرك الأساسي لمحور الأحداث، فلا نستطيع تصور نصا من دون حضور الشخصية، فهي أساس قيام النص السردي.

ففي اللغة نقلا عن ابن منظور في لسان العرب : " شخص ، الشخص ، جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع ، أشخاص ، شخوص ، وشخاص "[1]. تدخل في تعارض دائم مع الشخصيات الرئيسية التمثيلية لحالة أو وضعية ما

وقد ورد في المعالم العربية على النحو التالي :

"الشخصية تستعمل في الأدب الروائي، إلا أن المصطلح أخذ يختفي ليحل محله مصطلح: الفاعل أو الممثل لدقتها السينمائية، والشخصية الروائية فكرة من الأفكار الحوارية ."[2]

والمعنى الشائع هو مجمل السيمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص ، أو كائن حي ،وهي تشير إلى الصفات الخلقية والمعايير، والمبادئ الأخلاقية، ولها في الأدب معان متعددة أخرى وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله قصة ، أو رواية ، أو مسرحية.

1-2- مفهوم الشخصية عند العرب:

إذا انتقلنا إلى مفهوم الشخصية عند علماء العرب نجد الدكتور محمد غنيمي هلال يرى إن الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة ولها المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى الإنسان وقضاياه إذ لا يسوق القاص أفكاره العامة

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد8، (ش ، خ ، ص)، ص 36-37

[2] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1 بيروت – لبنان،1985، ص 125-126

وقضاياه، منفصلة عن محيطها بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما، وإلا كانت مجرد داعية فقدت أثرها الاجتماعي،وقيمتها الفنية معا.

إن الشخصية هي محور الرواية الرئيسي، بحيث تبث فيها الحركة وتمنحها الحياة، فقبل أن يستطيع الكاتب جعل القارئ يتعاطف مع الشخصية عليه أن يجعلها متحركة"[1].

تعد الشخصية عنصرا هاما في بناء الرواية ، ومن الصعب فصل هذا العنصر عن باقي العناصر ، فالأشخاص هي التي تجسد الفكرة من خلال تصرفاتها ، كما انها تقوم بتطوير وتنمية الأحداث وهذا ما يجعلها تكتسي أهمية في الرواية .

ويرى عبد المالك مرتاض في كتابه " نظرية الرواية " أن الشخصية: " هي التي تصطنع اللغة وهي التي تثبت أو تستقبل الحوار، وهي تصطنع المناجاة، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه خلال أهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب .... وهي التي تتحمل العقد والشرور فتمنحه معنى جديداً، وهي التي تتكيف مع التعامل مع الزمن في أهم أطرافه الثلاثة:الماضي، الحاضر والمستقبل "[2].

فالشخصية هنا من المكونات الرئيسية في السرد، ولا يمكن الاستغناء عنها لأنها تستند إليها أهم الوظائف في العمل الفني.

من خلال ما تقدم طرحه نستنتج أن الشخصية تعد احد المكونات الأساسية في العمل الأدبي ، أو بالأحرى السردي ، وذلك لأنها دعامة هامة في قيام أي نص ، وغيابها عياب للنص ككل ، كونها العنصر الفعال والمحرك في تطوير وتنمية العمل الروائي .

[1] غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 117

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1998 ،ص 91 .

– أو لنقل الشخصية هي كل مشارك في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا، فهي عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية وهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصوّر أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها".[1]

1-3-أنواع الشخصية:

1-**الشخصية الرئيسية:** تشمل الشخصية البطلة التي لها دور هام ورئيسي في الرواية ،وعليه فالشخصية الرئيسية هي التي تقود الفعل و تدفعه إلى الأمام في الدراما و الروائية أو أي أعمال أدبية أخرى.[2]

الشخصية الرئيسية شخصية فنية يختارها القاص لتمثيل ما أراد تصويره، أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، تتمتع هذه الشخصية الفنية المحكم بناؤها باستقلالية وحرية الحركة داخل مجال النص القصصي.[3]

عكست شخصية حسين كل الجوانب الاغترابية المختلفة في الرواية ، إذ بعثت لنا صورة ذهنية نفهمها فقط من خلال تحليل شخصية المغترب ، فقد عانى حسين في الغربة، فاعتمدت الرواية يشكل كبير على ذاكرة البطل لاسترجاع الماضي والذكريات التي تخضع بنفسها ، تجسدت هذه الظاهرة في شخصية البرغوثي كونه يحفظ دائرة السرد الروائي وينتج التواصل الذاتي ، فالشخصية التي لا تستطيع الإحساس بمعنى ذاتها لها ما يميزها عن العقل والخيال .

ندرك مباشرة أن حسين عاش طفولة مأساوية حقيقية ولدت مع بداية مأساة شعبه ، فيقول : "عندما كنت طفلا ، لم تكن توجد في قريتنا كهرباء ، وكنت أقرأ و أكتب على شعلة مصباح كاز ، مما جعل المصابيح وألوانها تسكن في أغوار اللاوعي عندي ."[4]إن الشخصية الرئيسية هي حسين نفسه فنجده يتحدث عن طفولته وينقلها بكل صدق .

---

1 لطيف زيتوني: معجم المصطلحات، نقد الرواية، منشورات دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 113-114.

2إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة الغربية للناشرين، تونس، د ط، 1988، ص11-2.

3شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، د ت، د ط، ص34.

4حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق، دار ميم للنشر، ط3 2010 ص 18.

يتحدث حسين البرغوثي عن مجتمع يعيش في أكناف الجامعة ، كان منه و لا يمثله ، يعيش في الماضي لمرحلة الثورة الطلابية ، عن حرم جامعي ...

إن سرد هذه الذكريات لوحدها لا يجعل من الضوء الأزرق سيرة ذاتية، ما يجعلها سيرة ذاتية هو تعبيرها عن رواية صاحبها في المرحلة الأمريكية، فنجد أن قلة من الكتاب العرب كتبوا عن تجربتهم في الساحة الطلابية الأمريكية، ومدى انخراطهم في تلك الساحة، في حين نجد طالبا، ليس ككل الطلاب أديبا، شاعرا وحالما إلى حد الجنون ينخرط بتلك الحياة اللانمطية.

فحسين نفسه يعترف أنه وصل إلى حد غير معقول من الجنون وانفصام الشخصية ، لدرجة أن باستطاعته أن يقترف جريمة تقوم بها شخصية في هذه الشخصية المنفصمة لا تعرفها الشخصية الأخرى ، لكنه يحجم نفسه عن الوقوع في الجريمة .

2-**الشخصية الثانوية:** وهي الشخصية المساعدة فهي تحتل المركز الثاني في العمل القصصي وهي أقل وظيفة من الشخصية الرئيسية، هي التي تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه، والإسهام في تصوير الحدث ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية.

في رواية الضوء الأزرق ، الشخصيات الثانوية لم تكن اقل قيمة من الشخصية الرئيسية والتي هي الراوي حسين البرغوثي ، بل كان لها دور فعال في بلورة شخصية حسين .

– **الصوفي:** الذي ذكره في بداية روايته حيث قال : "التقيت به صوفي من قونية ، تركيا ،ابن جنرال تركي ، لم يرغب بالعودة إلى وطنه ، فبقي في بلاد العم سام مدهوشا بحضارتها يتحدث ويعلم عن العقل والقلب ، والجوهر والمحتوى ، والأرانب والجزرة والتعاويذ ، والأشباح والصلاة السحرية ، هذا الأخير الذي جذبته حالته وهيئته بل اعتبره هو ذاته."[1]

–**دون:**ذلك المتسكع الذي يقتات من الحاويات، نجده كثيرا ما يدعو الناس إلى وجبات يجمعها من تلك النفايات، في حين أنه يملك بيتا فاخرا في جزيرة قريبة من الغابة، وعندما

[1] حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، الطبعة الثالثة 2010، ص9.

يسأله حسين لما يعيش على جمع النفايات وهو يملك كل هذا الثراء؟ يرد ماذا يفعل بحياته لو توقف عما هو فيه؟

– **الأب:** يكون للأب في جل الروايات الأثر البارز في حياة الشخص، بل هو الضوء الذي نهتدي ونقتدي به، هوحماية، درع يقينا صراعات الحياة، غير أن الأب في حياة

حسين أشبه بالصراع، نجده يقول:" طردني أبي من البيت بعد يومين من وصولي، لم أتعرف عليه كأبي ولا على بيته كبيتي، تخاصم مع أمي، فرفضت التدخل، وقلت له اعتبرني في فندق، ولا دخل لي بما يحدث فيه فطردني "[1] ، لذلك حين توفي والده لم يتأثر بوفاته نجده يقول " دفعتني أمي من الخلف ولم أتحرك وقلت لنفسي لا أريد طعم الموت على شفتي "[2] .

–ماري :حين عاش البرغوثي من الوحدة ، حاول التعايش مع الحياة الجديدة في هذا البلد من خلال تعرفه بماري ، هذه الأخيرة التي أعطت للرواية بعداً جديداً ومنعرجاً في حياة الراوي : حيث اعتبر المرأة ترياقا يعالج به جراح الغربة . إذ نجده يقول "عرضت الزواج عليها، أن نتزوج إما يأسا من الحياة أو لأنني كنت ألعب دور مسيح يوزع من فوق صليبه زهوراً على راهباته أو لأنني كنت أريد امرأة في الليل بأي ثمن "[3]

ولم تكن ماري شخصية عادية في الرواية كالأم والأخ الذي توفي، وسوزان ، العرافة والهندي.

3–كيفية عرض الشخصية:

هناك طريقتان لعرض الشخصية:

1-**طريقة تحليلية مباشرة:**

حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو الشخصية نفسها، بمعنى أن الشخصية تعرف نفسها بنفسها باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها دون وسيط من

1حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، الطبعة الثالثة 2010، ص 87

2المرجع نفسه، ص90

3المرجع نفسه، ص 93

خلال جمل تتلفظ بها هي، أو من خلال الوصف الذاتي مثلما نجد في الاعترافات والمذكرات واليوميات والرسائل.[1]

طريقة مباشرة يعني في رسمها من الخارج، حيث يذر القاص تصرفاتها ويشرح عواطفها وأحاسيسها، بأسلوب صريح يكتشف فيه شخصية وتوجيه شخصياته، وأفكارها وفق حاجتها والهدف الذي رسمته كما ترد ملامحها الخارجية على لسانه.[2]

2-طريقة تمثيلية غير مباشرة:

هي طريقة تمكّن الشخصية من التصريح عن كل ما هو موجود في الجانب النفسي لها، من أفكار وعواطف عن طريق استخدام ضمير المتكلم، وهذا ما يؤدي إلى غياب القاص تاركا للشخصية الحرية التامة في التعبير عن نفسها بطريقة فنية.

2-الزمن في الرواية:

2-1-مفهوم الزمن:

الزمن من أهم عناصر النص السردي لأنه يربط بين الزمن السردي ككل لذلك نعرف الزمن:

جاء في لسان العرب" الزمن على أنه الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره وفي الحكم الزمن والزمان العصر والجمع أزمن وأزمنة، زمن زامن شديد وأزمن الشيء طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمانا، والزمان يقع على فصل من فصول السنة وعلى ولاية الرجل و ما أشبهه"،[3] ومن خلال هذا التعريف الزمن هو الوقت قليله وكثيره يرتبط بالإنسان وجوانبه، ويعد الزمن أهم عنصر إذ يضبط الإيقاع والذي بدوره يضبط أحداث الحياة.

الزمن في الأدب " هو الزمن الإنساني... إنه وعينا للزمن كجزء من الخلفية الغامضة للخبرة، كما يدخل الزمن في نسيج الحياة الإنسانية والبحث عن معناه، إذن لا يحصل إلا ضمن نطاق عالم الخبرة، أو ضمن نطاق حياة إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات، وتعريف الزمن

1محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ص44.

[2]شريبيط أحمد شريبيط، تطور البنية في القصة الجزائرية المعاصرة، مرجع سابق، ص34.

[3]ابن منظور، لسان العرب مادة(زمن)، المجلد7، ط4، ص60.

هنا هو خاص، شخصي ذاتي، وكما يقال غالبا، نفسي وتعني هذه الألفاظ أن تفكر بالزمن الذي تخبره بصورة حضورية مباشرة".

ترى سيزا قاسم أن الزمن يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها الزمن حقيقة مجردة سائلة، لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى.[1] إن الزمن خيط وهمي مسيطر على كل التصورات والأنشطة والأفكار.[2]

والزمن يعدّ من أهم العناصر التي تقوم عليها النصوص الروائية بشكل عام وكلي.

2-2-الزمن في الاصطلاح السردي: «مجموعة العلاقات الزمنية، السرعة التتابع البعد...الخ، بين المواقع والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما وبين الزمان والخطاب بهما وبين الزمان والخطاب المسرود والعملية المسرودة.[3]

الزمن عنصر مهم وأساسي في القصة لذلك فان أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن هو فن القص.

2-3-أنواع الزمن:

الزمن نوعان:

1-**الزمن الطبيعي:** الزمن الطبيعي هو زمن غير متناهي الوجود، يسير دائما نحو الأمام، بحثا في سيلانه عن الآتي فهو عبارة عن جريان منتظم يمضي دائما نحو الأمام لا يلتفت إلى الخلف ولا يمكنه العودة إلى الوراء.[4]

---

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة، د ط، 1984، ص27.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار المعرفة، الكويت، ط1، 1998، ص174.

[3] المرجع نفسه، ص103.

[4] وهيبة بوطغات، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، 2008-2009، ص37 .

2-**الزمن الذاتي:** تعرفه "مها حسن القصراوي" في قولها" يمتلك الإنسان زمنه النفسي الخاص المتصل بوعيه ووجد أنه خبراته الذاتية فهو نتاج حركاته أو تجارب الأفراد وهم فيه يختلفون حتى أننا يمكن أن نقول لكل منا زمانا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية فالزمن النفسي لا يخضع لقياس الساعة مثلما يخضع الزمن الموضوعي وذلك باعتباره زمنا ذاتيا بقيمة صاحبه بحالته الشعورية.[1]

الزمن الذاتي هو زمن لا يخضع لمعايير أو مقاييس خارجية إذا فهو زمن شخصي.

فنجد حسين يذكر طفولته كيف كانت وكيف مرت، كيف عانى مع ما كان يعانيه شعبه الحرمان الذي طاله، فكان يحب حديثه عن طفولته الجبلية التي تربى عليها، حيث كان يجد الأمان بالتطلع بعيداً، كل ألمه وخوفه ابتداء من خوفه من البحر وأحلامه التي تراوده كثيرا " منذ الطفولة، كنت أفقد إدراكي بين فينة وأخرى "[2] .

كانت هذه المرحلة بالنسبة لحسين في نفس الوقت مرحلة وعي وتفتح مبكر على الوطن والأمة، نتيجة ما عاشه من ظلم ومهانة خارج أرضه فقد تعرض لما يشبه بالحرب الأهلية في مرحلة سكنه ببيروت ، تمثل في التنمر الذي عانى منه بسبب أطفال العمارة التي كان يسكنها يمكن القول أن حسين عاش منغلقا وسط تجربته الخاصة وحاول أخذنا معه في متاهاته ورؤى فكرية مختلفة، أي التعبير عن الجنون بحكمة، فتجربته مليئة بالعواطف بناء على تجربته الخاصة.

إن السيرة لا تكاد تخلو من صور وذكريات كل حياته ما هي إلا مسلسل من الصراعات التي كانت تعتريه في كل مراحل حياته ، بل نجده قد قدم العديد من التنازلات حتى يتمكن

[1] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، مرجع سابق، ص23.

[2] حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، ص 10

فقط أن يعيش حياته، فنجده يقول "وقررت أن أستقيل عن عدة عادات في حياتي ألا أسعى لأن أكون الأول في كل شيء"[1]

3- المفارقات الزمنية:

تعد المفارقات الزمنية من أهم ما يتعرض له الكاتب في سرده للأحداث فالكاتب إما أن يسرد الأحداث ثم يتوقف ليعيد استرجاع أحداث سابقة أو يسبق أحداثا أو يتوقع حدوثها فيما بعد هذا ما يطلق عليه بالاسترجاع والاستباق.

المفارقة في حد ذاتها تعبير يهدف إلى إثبات الشيء أو ضده...فهي قطع استمرارية السرد بين الحين والأخر، وهي تحدث عبر الذات القاصة التي تتحرك إلى الوراء لتحكم على ماضي أو لتتذكره أو تتحرك إلى الحاضر وقد تتحرك من الماضي إلى المستقبل وبالعكس فالمفارقة نوع من التضاد.[2]

إذاكما تناولت الرواية من الناحية الزمانية، فحسين ارتبط بالزمن أكثر من المكان واضح في عباراته.

4-بنية المكان

4-1-مفهوم المكان:

تعددت التعريفات من الناحية اللغوية في معظم المعاجم منها: جاء في القاموس المحيط: وردت الكلمة تحت مادة (كو ن): المكان الموضوع كالمكانة: أمكنة وأماكن، وتحت مادة (م ك ن) يقول المكانة: المنزلة، التكون، تقول للبغيض لا كان ولا تكن.[3]

[1]حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، ص 197.

[2]احمد رحيم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، 2012، ص351.

[3]الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص267.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: المكان بمعنى الموضوع والجمع أمكنة وأماكن: قال ثعلب ببطل أن يكون مكانا فعلا لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك واقعد مكانك دلّ هذا على انه مصدر من كان أو موضوع منه.[1]

يجسد المكان الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه، وأي نص مهما كان جنسه الأدبي لابد أن يتوفر على هذا العنصر مادام فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه ويتم ظهر من خلاله بواسطة آلياته وقوانينه.

ويقول "ياسين النصير" بتأكيد هذا الكلام بقوله" إن المكان عندنا شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني، يتحد عبر الممارسة الواعية للفنان، فهو ليس بناء خارجيا مرئيا ولا حيزا محدد المساحة ولا تركيبا من غرف وأسجية ونوافذ بل كيان من الفعل المغير والمحتوى على تاريخ ما"[2].

وهذا يعني أن المكان الروائي ليس مكانا معتادا كالذي نعيش فيه ولكنه مكان تخيليّ غير واقعي يتكون عن طريق اللغة الروائية فيحقق المؤلف بلغة عالمه الروائي، بكل تصوراته وتمنحه الحرية الحق في بناء هذا الفضاء بعيدا عن كل القوانين، والقواعد التي تألفها بمشاركة الشخصيات ووظائفها المختلفة[3]. فتعيين مكان الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيليّ، إذ بمجرد أن يسرد المؤلف الأحداث ينتقل إلى عوالم شتى يستطيع حينها أن يخلق مكانا خياليا لأحداثه ويكون له دورا أساسيا كبقية العناصر المشكلة لعملية السرد فللمكان علاقة حميمة مع الإنسان، كونه بمثابة الجسد الذي يحتوي الروح وكل منهما يؤثر في الأخر.

---

[1] ابن منظور لسان العرب،دار المعارف، بيروت، لبنان،مج13، ص414.

[2] حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006، ص، ص23.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق، ص31.

يقول غاستون باشار" Gaston Bachelard "عن المكان بأنه" أكبر من كونه حيزا لأنه "كون الحقيقة بكل ما للكلمة من معنى، وليس هو المكان الهندسي إنما هو المكان الذي عاشه الأديب كتجربة، والمكان لا يعاش على شكل صور فحسب، بل يعيش في داخل جهازنا العصبي كمجموعة من ردود الفعل"[1]. وبهذا يتحول المكان الحقيقي إلى فضاء روائي جرت فيه أحداث الرواية، فالمكان "سواء كان واقعيا أو خياليا يبدو مرتبطا بل مندمجا بالشخصيات كارتباطه واندماجه بالحدث وبجريان الزمن"[2]. ليبقى دوما المكان دائم الحضور في العمل الفني، " كما يمكن القول "بأنه البيئة التي تتمركز عليها الرواية، وكل ما يتصل بوسطها الطبيعي، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم، وأساليبهم في الحياة... تعني البيئة القصصية إذا تحدثنا بلغة الفن والمحيط، إذا استعرنا مصطلحات العلوم".[3]

"إن الشكل المكاني لأي نص أدبي هو اللحظة الزمانية له، ويرتبط المكان بعناصر السرد الأخرى من شخصيات، وأحداث، ووجهة النظر والحوار. وقد يلجأ السارد لإعطاء لمحة عن الشخصية(سلوكها وطبائعها ونفسيتها) من خلال مكان"[4].

ثم إن اختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءا في بناء الشخصية البشرية ويقول هنري متران" المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[5].

4-2-أهمية المكان (الروائي):

[1]غاستون باشلار، جماليات المكان، ترغالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1984، ص21.

[2]أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص16.

[3]يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، ص103.

[4]م.ج.بان صلاح الدين محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج11 عدد1، 2011، ص، 199-200.

[5]ثائر زين الدين، في دروب السرد، دراسة تطبيقية في القصة والرواية، مكتبة مؤمن قريش، سوريا، ط1، 2011، ص115.

إن للمكان أهمية مثله مثل العناصر الأخرى من شخصيات وزمان فلا يمكن أن ينفصل عنها، فالمساحة دور أساسي في تشكيل النص الروائي، فهي التي تقع فيها الأحداث وتفصل الشخصيات عن بعضها البعض، كما أنها تفصل بين عالم الرواية والقارئ الذي بدوره ينتقل من موضعه إلى عوالم شتى، أي إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي نفسه، حيث ذكر في هذا حميد لحميداني قال:" يعتبر المكان هو الأساس لأن الرواية تضع عالمها الخاص إذ تستفيد حتما من الواقع في أنها قابلة لأن تجعل على الأمكنة مادة لبناء فضائها الخاص"[1].

" إذا كانت الرواية في المقام الأول فنا زمنيا يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته وتخضع لمقاييس مثل الإيقاع ودرجة السرعة فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم و نحت في تشكيلها للمكان".[2]

المكان هو الإطار الذي كانت تجري فيه الأحداث الروائية، لذا فإن أي إلغاء أو إقصاء لمفهوم المكان في الخطاب الأدبي، هو قمع معين لهوية من الهويات التي تخص هذا الخطاب والذي يبرز بدوره الأهمية الكبيرة للمكان باعتباره العنصر الأساسي الذي لا يمكن الاستغناء عنه، لأن كل مقطع وصفي وجملة ما في الكتابة الروائية تحيل على مكان معين ومجموع هذه الأمكنة يطلق على فضاء معين ومحدد، ويقدم لنا حضور ما في العالم ونكاد نقول بأنه ليست هناك رواية أبدا بدون مكان، وهذا لا يعني أيضا أن المكان يقدم في العمل الروائي لأغراض زخرفية وجمالية أو خلقية للأحداث فقط، وإنما اخذ يكتسب قيمة ووظائف أخرى جعلت منه عنصرا أساسيا يلتحم عضويا مع كل مكونات العمل الروائي لكونه" يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا سلبيا بل أنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم".[3]

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق، ص72.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، 2004، ص103.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق، ص70.

فقد ينفذ الروائي من خلال الصورة الوصفية والسردية إلى الحياة البشرية، وكما يعكس المكان نفسية الشخصيات ويكشف هويتها وأنماطها، ويقف شاهدا على عمق الانتماء، ويتجاوز المكان وظيفته الأولية المحددة بوصفه مكانا لوقوع الأحداث إلى فضاء يتسع لبنية الرواية، ويؤثر فيها من خلال زاوية أساسية للإنسان الذي ينظر إليه، إضافة إلى علاقته بالحوادث ومنظور الشخصيات وذلك من خلال ما يراه حميد لحميداني في قوله أيضا "أن المكان في الرواية الواقعية يكتسب أهمية كبيرة بالنسبة للسرد وذلك لحظة وصفه بشكل مطول

ودقيق مثلما يكتسب هذه الأهمية أيضا عندما نراه يؤسس على غير من الأمكنة الموصوفة فضاء الرواية بكامله".[1]

" إن المكان يعتبر الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية أما الزمن فيمثل هذه الأحداث نفسها وتطورها وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث".[2]

بل وأكبر من ذلك " كونه مرشد إلى نماذج أكثر دلالة على الحياة وإسهاما في تطوير الإبداع الروائي... ليس كخلفية للأحداث فحسب بل كعنصر حكائي قائم بذاته".[3]

مما هو متعارف أن الإنسان يرتبط بالمكان ، فهو مكان النشأة والحياة ، له دور هام في الرواية ، فلا يمكن تصور حكاية دون مكان ، لكي يأخذ كل حدث مكان وزمان معين : فالمكان هو الذي ستجري فيه أحداث هذه الرواية ، ولعل أهم مكان في هذه الرواية هو سياتل ، المكان الذي قابل فيه جل شخصيات روايته ..

ونجد من قراءتنا أن حسين لا يوجد لديه ما يسمى ارتباط المكان ، وذلك لأسباب وضغوطات سياسية ، لذلك كان البحث عن البديل هو الحل الصائب بغية الراحة والاستقرار .

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق ، ص67.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، المرجع السابق، ص106.

[3] محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في ادب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، د.ت، ص181.

حين سافر البرغوثي وترك وطنه ، كان أشبه بميلاد حياة جديدة له ، نجد سينماتك الوهم، حانة الضوء الأزرق و مقهى المخرج الأخير ، هذه الثلاثية كان لها الأثر البارز في تشكيل هويته الفردية ، "غريبٌ كم يبدو المكان كمصيدة أحيانا لسبب ما ، وجدتني أتنقل بين المقاهي الثلاثة ، وأبحث عن نفسي"[1] .

الحالة النفسية هي التي تحدد نوع المكان وطبيعته، فرواية الضوء الأزرق تقوم على المكان الذي يشكل حيزا بارزا فيها.

ومهما يكون من أمر هذه الأمكنة وعلاقتها بالمكان الأول للسارد قريته كوبر، فإن الثابت من خلال محاولة المقاربة للفضاء المكاني، رصد التحولات التي يمر بها الإنسان خلال تنقله من مكان إلى آخر وتأثيراتها على شكل الهوية الفردية" العقل دولاب وكلما دار الدولاب تغيرت طريقتنا في النظر إلى الدنيا والحياة وأنفسنا وتغيرنا.[2]

5-بنية الحدث

5-1-مفهوم الحدث :

عرفه "رولان بارت" بأنه مجموعة من الوظائف يحتلها العامل نفسه أو العوامل كما يدل على الفعل".[3]

والحدث في العمل الروائي بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها فقد تكون هذه الأحداث واقعية أو خيالية من صنع الروائي، فلا قيمة للشخصيات أو الزمان أو المكان بدونه والرواية تبنى على جملة من العناصر المميزة من بينها الحدث فهو:" الموضوع الذي تدور حوله القصة ويعد العنصر الرئيسي فيها، إذ يعتمد عليه في تنمية المواقف وتحريك الشخصيات ولما كان القاص يستمد أحداثه من الحياة المحيطة به، لتكون مشاكله للواقع كان

[1] حسين البرغوثي ، الضوء الازرق ص 20

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، د ط، د ت، ص20.

لابد له من اختيار هذه الأحداث و تنسيقها، و عرض جزئياتها عرضا يصور الغاية المحددة منها".[1]

بينما محمد زغلول سلام فيعرف الحدث كالآتي:" الحدث هو اقتران فعل بزمن و هو لازم في القصة لأنها لا تقوم إلا به و يستطيع القاص إذا أراد أن يكتفي بعرض الحدث نفسه دون مقدماته أو نتائجه... و قد يعرض هذا الحدث منظورا مفصلا مثلا في القصة الطويلة أو الرواية".[2]

5-2-عناصر الحدث:

أما بالنسبة إلى العناصر التي تشكل الحدث فهي:

المقدمة: التي لها الأثر في إثارة انتباه القارئ أو دفعه للقراءة.

العقدة (لحظة التأزم): وهي أداة قوية تشد القارئ لمتابعة الأحداث بغية الوصول إلى النتيجة وتعنى بتشابك الحدث أو تتابعه إلى ان يبلغ الذروة.

النهاية (لحظة التنوير أو الإخراج): وهي التي تحدد معنى الحدث القصصي فمن خلاله يتعين لنا المعنى الذي أراد الكاتب أن يعبر عنه، والنهاية الجيدة هي التي تستوعب كل العناصر المتقدمة من بداية، وحدثوشخصيات.[3]

كما تشير إلى أنّ للحدث ثلاث طرق لصياغتها وهي كالآتي:

1- الترجمة الذاتية: يلجأ فيها القاص إلى سرد الأحداث بلسان شخصية من الشخصيات مستخدما ضمير المتكلم.

2- السرد المباشر: وفيها تقدم الأحداث في صيغة ضمير الغائب.

3- الطريقة الثالثة: وفيها يعتمد القاص على الوثائق والرسائل والمذكرات أثناء معالجتها لموضوع روايتها.

---

[1] عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص25.

[2] محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية أصولها واتجاهاتها اعلامها، دار المعارف، الإسكندرية، القاهرة، ص11.

[3] جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر عابر خزندارن، ص 24-28.

وهذه الأحداث والوقائع تكون مرتبة ترتيبا يدور حول موضوع عام، وهي تعمل عملا له معنى وهو المحور الذي يربط عناصر الرواية، كما يعدّ من العناصر الفاعلة في البناء السردي، وللحدث طرق لبناء النص الروائي هي:

الطريقة التقليدية: وفيها يندرج القاص بحدثه من المقدمة إلى العقدة فالنهاية، وهي طريقة قديمة يتميز بها كتاب الرواية التقليدية خاصة، ويتبع فيها الروائي التطور النفسي المنطقي.

الطريقة الحديثة: وفيها يشرح القاص بعرض الحدث في لحظة التأزم(العقدة) ثم يعود إلى الماضي ليروي حدث البداية، مستعينا في ذلك ببعض الفنيات والأساليب كتيار اللاشعور والمفاجأة والذكريات.

طريقة الإرجاع الفني: يبدأ فيها الكاتب بعرض الحدث من النهاية، ثم يرجع إلى الماضي ليسرد الرواية كاملة وهي اليوم موجودة في الرواية البوليسية أكثر من غيرها من الأجناس الأدبية.[1]

أحداث كثيرة مرت على البرغوثي ، لكن موت أخيه هو الأهم والأبرز ، وكانت تتبادر إلى ذهنه تساؤلات حول موت الأطفال فكانت والدته تجيبه أن الأطفال لا يموتون إنما يصبحون طيورا خضراء في الجنة . كذلك الصراع القائم بين الفلسطينيين واليهود والذي بلغ ذروته في العصر الحديث زاد حدة وعنفا وقسوة، ونجح اليهود في هزيمة المسلمين وإقامة كيان لهم داخل الأراضي الفلسطينية، فنجد أن قضية فلسطين وحروبها ضد الاحتلال،

حازت على حصة الأسد في رواية حسين البرغوثي ، لأن القضية الفلسطينية ارتبطت باسم الراوي .

يعطي حسين صورة واضحة عن اليهودي الذي احتل أرضه (فلسطين) ليسعى في خرابها محاولا إبراز أن العدو لم يترك فرصة لأبناء الوطن ليتمتعوا بأرضهم ورؤية البحر

[1] شربيط أحمد شربيط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1998، ص32-33.

"وأحدق غربا في البعيد نحو البحر الأبيض المتوسط ، لكني لم أر البحر عن قرب أبدا ، فقد احتلت إسرائيل السهل الساحلي كله قبل ولادتي سرقت مسالك الجبل الى البحر "[1] .

كذلك نجده يصور لنا حقد اليهود على شعب فلسطين والعرب متأصل في نفوسهم «يتحدثون همسا عن الفلسطيني ويشيرون إلي ويتغامزون، هذا لقب لم أسمع به من قبل أغرب لقب سمعته "[2] .

وإضافة إلى الحدث الرئيسي القائم على الصراع الفلسطيني والإسرائيلي، كانت هناك أزمات ونزاعات تطرق لها حسين في روايته كالأزمة اللبنانية،إذ أن أحداث لبنان تعد مسرحا للحروب الأهلية والنزاعات قبل الاستقلال وبعده، بلد لا يستطيع العيش دون حرب أهلية كل عدة سنوات.

كان لحرب لبنان سببين : أسباب داخلية نابعة من الطبيعة المذهبية والطائفية للنظام والمجتمع اللبناني ، أما الأسباب الخارجية فالحرب كانت للآخرين على أرض لبنان " ففي أواخر خمسينيات القرن الماضي ، تدخلت قوة المارينز الأمريكية في الحرب الأهلية في لبنان ورحلوني أنا وأمي وأبي من بيروت على ظهر طائرة كرعايا أجانب "[3] .

في الحروب الأهلية لا منتصر، كل من يدخل يحشر حتى يقرر الجميع أنهم تعبوا من كثرة الخسارة.

حرب لبنان استمرت عدة سنوات ثم انتهت بلا شيء، حرب عبثية بلا مكاسب، المتضرر منها هو الإنسان.

ثانيا: المظاهرالسيرذاتيةفيالرواية:

إن الأديب يرى ما لا يراه الآخرون أو بالأحرى، يرون الواقع لكن يلبسونه حلتهم رؤيتهم لكن سيرة الضوء الأزرق لم تكن سيرة، أي لاهي رواية ولا هي سيرة ذاتية ... حين تقرأ الرواية

[1] حسين جميل البرغوثي، الضوءالأزرق، سيرة،ص 81

[2] المرجع السابق، ص 150

[3] المرجع السابق، ص 83.

تجدها فعلا سيرة لأن الكاتب التزام بميثاق السيرة، كانت سيرة مشحونة بالألم تطرق خلالها للبعض المظاهر السير ذاتية في حياته.

6-الهوية:هوية الكاتب: من أنا؟ تساؤلات وظفها حسين البرغوثي في الرواية هو بحثه عن هويته، فعندما سافر إلى سياتل، عانى كثيرا من الوحدة والانطواء وعدم الشعور

بالانتماء لهذا البلد الغريب، لذلك فمن المعروف أن الإنسان في صراع دائم مع ذاته ومع الأخير نتيجة لكل الظروف المحيطة به سواء الاجتماعية أو السياسية وحتى الدينية، كل هذه تولد لديه شعور بأنه غير مرغوب في البلد الجديد، فيصبح الإحساس بالعجز والغربة ملازما له .

وهذا ما جعل حسين يقول " وأمها وطبيبها اتفقا على أنني تزوجت منها لأنني بلا هوية ولا أعرف من أنا وربما كانا على حق "[1] .

هنا يتذكر أنه مجرد لاجئ فلسطيني بلا هوية، ليأخذنا معه في رحلة بحثه عن ذاته رابطا الذات بذاكرتها وتجاربها وتاريخها، وهو ما يطلق عليه مسميات الهوية " نحن العرب نحس بقلقة في أغوار هويتنا فنبحث عن جذورنا في الإسلام في القرن 7 في أبعد من ذلك منا من يرجع لجذوره الفرعونية أو الفينيقية أو الكريتية، فنحن فلسطينيون أصلنا – مثلما يقال – من شعوب البحار التي كانت تطوف البحر المتوسط، ومنها من رجع بهويته إلى كريت، قبل آلاف السنين.. وهذه الجذور حية رغم قدمها"[2] .

لا يمكننا أن نتذكر أن كل واحد فينا يضع الهوية التي تناسبه أمام الجميع ، وليست تلك التي ألصقتها بنا القيم والعادات ، ففي حديثه عن جوني الذي حاول إيجاد تاريخا يرضيه "هذا جوني إنسان بلا مكان كون لنفسه هوية مختلفة " [3]

وهذا إشارة واضحة إلى الإسرائيلي الذي هو بلا هوية لكنه يتخيل أنه فلسطيني .

---

[1]حسين البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة ، ص 96-97 .

[2]المرجع السابق، ص 22-23.

[3]المرجع نفسه، ص 24.

يتساءل حسين عن هويته " من أنا؟ شخص يصر بأن له هوية حقيقية، لما لا انحت رواية محض خيال عن جذوري؟ ما الدليل أن جذوري حقيقية؟ تلبسني هذا التاريخ السحيق ولدت في قرية، وذاكرتي قروية وبابل ومصر ارثي أما أشكال جوني فلا ذاكرة لهم إلا المدن الكبرى الحديثة لا يعرف ولم يسمع بشيء يدعى قرية"[1]

لم يسمح حسين للسلطات الإسرائيلية بتغيير هويته "شعرت برعب ما من مسح دماغي من التحول إلى دمية في يد مسؤول خلف مكتب يوجهني بجهاز التحكم عن بعد فغادرت" [2] .ذكر حسين أنواع الهوايات وكيف تبلورت:

-**الهوية الفردية** :أو الذاتية فكان يشعر بهويته عندما يكون جالسا لوحده في جبال رام الله "فأستدير وأهرب ، أهرب ليس نحو الجبال في عالية أو نحو جبال الأرز الشهيرة في لبنان بل نحو جبال طفولتي في رام الله "[3] .

-**الهوية المتخيلة** :كالأمريكي والصهيوني ، فهو شخص بلا تاريخ وبلا كون ، اختلق له هوية مزورة تُلائم معتقداته ، وهذا ما جسده حين تحدث عن السود ، فحواراته لا تخلو من فكرة المعانات التي يتعرض لها السود ، شبيهة إلى حد بعيد بالمعانات المستمرة التي يعيشها الفلسطينيون .

-**الهوية المنفصمة** :وهي التحول إلى شخصين وهويتين في جسد واحد ، ويشير حسين أن الإنسان يمكن أن يعيش شخصية أخرى غير شخصيته ، فتخلق شخصيتين شخصية حقيقية خارجة من الجسد الحقيقي ، وشخصية أخرى متطفلة عليه .

كتب عن الاحتلال ومدى تأثيره على الهوية فانتقل من تحليل ذاتية إلى حالة تحليل وطنية ، ليوضح لنا أن منفصم الشخصية لا يمكنه العيش بشخصية دون الأخرى ، لكن لكل

[1] حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، ص 25.

[2] المرجع السابق، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ص 45.

شخصية وقتها " لا بد من ممر ما خدعة ما كي يتمكن القول إن الشخصيتين تسكنان معا في نفس الشخص رغم استقلالهما في جسم واحد ، ومريض واحد ومكان واحد "[1] .

فالعربي واليهودي كلاهما عدوين في جسد واحد يبحثون عن هويتهم ومواقعهم وهنا العلاقة علاقة صراع جوهري بين طائفتين.

هوية حسين تاريخه وذاكرته كانت نتيجة الانفتاح على المجتمعات الأخرى والهويات المختلفة والانتماءات الثقافية المحدودة، فهو إنسان يقدس الذاكرة وتاريخها، فنجده يدعو إلى بناء حالة ذهنية جديدة حاضنة لكل هؤلاء الأفراد الذين يعانون من انفصام الشخصية

7-الأقنعة:

لجأ البرغوثي إلى توظيف القناع في تصوير حياته ، فهو يريد دوما إخفاء حقيقته ، فكثيرا ما يعد القناع رمزا للتعبير كما استخدمها العديد من الشعراء والأدباء خصوصا ، فلو أخذنا على سبيل المثال البحر : هذا القناع كان مبهم المشاعر كالوحدة الخوف ،الغربة والتيه ، كان قناعا بشخصية أخرى تسكنه وتصيبه بالانفصام " كل عالمي صار بحراً أهوج لا سواحل له ، يسكنه قراصنة على ظهر السفن "[2] ، فكانت هوايته منذ الصغر ارتداء الأقنعة وإخفاء نفسه فيقول " صرت في كل عيد من أول الصبح ، أتسلل للتسكع في الجبال ، حتى يهبط الليل كي لا أرى أحدا أحلم أن صادفني الناس ، بطاقية إخفاء إن لبستها لا يراني أحد ولا يسمعني أحد ، لكنني أرى الجميع "[3] .

بل أحيانا يتصور أنه يمكنه أن يوسع القناع ومده بقوة عظيمة " وعلي زيادة القناع قوة بأن أطيل شعري أكثر، وأرتدي صندلا غير رسمي، وكل ما من شأنه أن يكون قشرة أخرى تبعد الناس عن مركزي،وروحي، ملابسي شعري الطويل،تشردي، فظاظتي وسيفكرون ما يأتي

[1] حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، ص 98.

[2] حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة، ص88

[3] المرجع نفسه، ص 140.

على بالهم فليكن هذا نافع، هذا قناع ثالث أعطني،أعطني،ماذا؟ قناعا ثالثا، من فضلك، قناعا آخر".[1]

هدفه من كل تلك الأقنعة هو جعل حياته مليئة، لأنه كان دوما يحس بالوحدة، " سأراكم على وجهي أكبر قدر ممكن من الأقنعة، وتحت هذا كله سأصعد إلى الضوء الأزرق وحدي

ومن بعيد حتما بقلبي، سأعرف طيرا أخرى تسري نحو مسراي ذاته، طيورا سأحييها من بعيد، سأقتل نفسي كل حزن يكسر روحي، ويشكو من وحدة الرحلة وأرقص "[2] .

كأنه هنا يبيح لنفسه ارتداء المزيد من الأقنعة للشخصيات والأقوال والأفعال .

[1]حسين جميل البرغوثي، الضوء الأزرق سيرة ، ص 197-198

[2]المرجع السابق ، ص 198

الفصل الثاني

أولا: تجليات طابع الميثاق السير– ذاتي في رواية (الضوء الأزرق) لحسين البرغوثي:

1–الميثاق السير الذاتي:

اعتبره لوجون مقياسا لتحديد طبيعة نص السيرة الذاتية، وهذه الأخيرة مبنية على الثقة، أي أنّ النّص يجب أن يضمنه كاتبه اعتذارات وتوضيحات ومقدمات وإعلام النية، وهذه كلها إنما هي شعائر لإيجاد اتصال مباشر ، لذلك تأتي أهمية الميثاق في كونه نوعا من العقد يبرمه المؤلف مع القارئ يتم بموجبه تحديد نوع القراءة، وقد يأتي مباشرة أو ضمنيا في بداية النّص أو نهايته أو يرد أحيانا مبثوثا يتخلل النّص.

في روايته الحمالة لطابع (السير–ذاتي) يمزج الشاعر و الروائي و الأديب الفلسطيني (حسين البرغوثي) سيرته الروائية بشكل من الغرائبية الأدبية، مستعينا بذلك على فتوحات و بركات و عجائب (التخييل الأدبي) محلقا من وراء قضبان السجن الاسرائيلي، في جو من الثقة بالنفس متحديا القضبان الحديدية في واقعيتها بجرأة خياله الأدبي الكاسر للواقع من زاوية (الذاكرة و المتخيل).

روايته (الضوء الأزرق) الواقعة في (205 صفحة) يحاول (حسين البرغوثي) إفراغ كل تاريخه (الشخصي /الطفولي/الشبابي/النضالي/الرسمي/الهامشي/الجاف و البارد/الحميمي و الدافئ) بناء على قناعة أدبية في جبة (سيرية/ذاتية)؛ لعله أراد إخبارنا بأنه لا توجد عوائق بين (الأنا) و هي تكتب و تحاور نفسها و تاريخها، لتطرح (الأنا) تلك (الآنية) المستبطنة عالمها الداخلي، و التي هي كتلة من الضغوط و الهوامش و الأحداث و الأحلام المتلفة، و حتى التاريخ المنسي أو الذي تعرض للتهميش قصدا.

(حسين البرغوثي) ليس شخصا فلسطينيا عاديا، بل هو (تاريخ ثقافي مقاوم)، يقاوم عالم (الاحتلال الصهيوني)، و يقاوم (مكر التاريخ) في هيغليته (المركزية الغربية)، كما يقاوم تلك (الحرية) التي تروج لها (أمريكا) في جامعتها (بوسطن، هارفارد، شيكاغو، سياتل....)، حيث زار و حيث درس بـ(سياتل)، لقد اقتنع (حسين البرغوثي) أن من خلال الفجوة التي يحدثها العالم داخل (المثقف المحتل) أو الهامشي، الذي تعرض بلده (للسرقة التاريخية)،

تتكون داخل هذه الفجوة أنوار و ألوان، أنوار تسطع بضوء المقاومة، و لعل (الضوء الأزرق) هو المحبب له، كشخص مثقف و شاعر ملهم، و لعل اللون كان (الأزرق) الهادئ هدوء السماء في علوها، و هدوء البحر في عبابه، هذا اللون (الأزرق) ظل طيلة الرواية–السيرذاتية حافلا باستنطاق (الذاكرة الشخصية) بأنواعها، و لعلنا نبدأ بتلك (الذاكرة الطفولية) لـ(حسين البرغوثي)، حيث يقول: "منذ الطفولة، كنت أفقد إدراكي بينة فينة و أخرى. مرة في بيروت ذهبت إلى سينما (كارمن) لمشاهدة فيلم (مقتل يوليوس قيصر)، و خرجت من السينما إلى شارع من الأضواء و السيارات و الحركة الحديثة (سنة 1964م). وفجأة، لم أدر أين أنا، ولا أين الطريق إلى بيتنا، ولا ما هو هذا المكان ومن هم سكانه، وزاد من خوفي ما كنت سمعته من إشاعات، عن عصابات لسرقة الأطفال، مثلا، عن امرأة تلبس خمارا في باص على الحدود السورية–اللبنانية: صيف، حر شديد، وعرق على الوجوه، وفي حضنها طفل ملفوف برداء. قال لها الشرطي أن تكشف عن وجهه لئلا يختنق من الحر، ولم تكشف، فشك في أمرها، وأزاح الغطاء فوجد طفلا صغيرا ميتا، شق المهربون بطنه وحشوه بالحشيش وخاطوه. وامتزجت هذه الإشاعة في ذهني بالفيلم الروماني، وصورة وجه قيصر على طول الشاشة في فراش الموت وهو يرشح عرقا.."[1].

الواضح أن ذاكرة (حسين البرغوثي) الطفولية، ذاكرة مدججة بأحداث مفزعة و مفجعة، تداخل فيها الطابع الواقعي (المختلط بين الإشاعة و الحقيقة) و الطابع السينمائي (التصويري/المحاكاتي)، بين قصة (يوليوس قيصر) الشهيرة و حادثة تجرعه للسم و نهايته المأساوية، و فقدان حكمه، و بين قصة هذا الطفل (الميت/المبقور البطن) ليصبح و يتحول إلى (طفل ناقل للمنوعات) عبر امرأة (وسيطة شحن و توصيل)، هاتين الحادثتين الذي هز وقعهما تزامنا مع (المرحلة الطفولية) لـ(حسين البرغوثي)، جعلا منه (شاهدا و متأثرا) في الآن

[1]– حسين البرغوثي: الضوء الأزرق –سيرة ذاتية، ط3 2010، ص 8–9.

نفسه على هاتين الحادثتين، و سجلت ذاكرته الطفولية سلبية هاتين الحادثتين، و الغريب أنهما انزاحا من كونهما فقط (حادثتين) وقعتا للكاتب، إلى تحولهما إلى مصدر سيري يعتمد عليهما في صوغ عالم أدبي مبني على أنقاض العالم الواقعي، فالأخير يخلق و ينشأ بشروط موضوعية بعيدة ذاتية (المشاهد)، سواء أكان (المشاهد) فردا عاديا أو كاتبا ملهما، ثم تأتي لحظة التأثير، التي هي اللحظة الفاصلة و الحارقة، لتؤثر في ذاكرة (المشاهد) و تسكن فيها، ثم يستدعيها هذا الأخير في شكل (فلاش باك/استرجاع) لغرض سوسيو–ثقافي آخر، ربما يكون هذا الغرض، ليس الكتابة فقط، بل ما وراء كتابة هذين الحادثتين، و لعل غرض (الما بعد) هذا؛ هو لماذا حدث كل هذا؟

و هو لما كان صغيرا و شاهد بأم عينيه (الحادثتين) لم يكن ليدرك المغزى من ذلك، لأنه لم يكن يملك من (الوعي الذاتي) الذي يعينه على (تفسير الأشياء) ذلك القدر الكبير، لكن كان له من (مشاعر الكراهية) ذلك القدر الهائل، الذي يعينه على تبني موقف طفولي رافض لفكرة (القتل بالأساس)، سواء اتجاه (الطفل البريء) أو اتجاه (يوليوس قيصر/الشخصية التاريخية الحقيقية التي تحولت إلى مادة سينمائية)، فالفارق في البناء السيري–الطفولي، عن البناء السيري–الامابعد أربعيني (لحظة اكتمال النضج)، هو في إعادة النظر إلى فكرة (القتل) نفسها، فهذه الأخيرة و هي في (نيوءتها/لحظة المشاهدة) عاملها (حسين البرغوثي) معاملة سيرية (عاطفية) بمعنى تعامل وجداني/فطري مع المواقف و الأشياء، أما بعد هذه الحادثة، فتحولت فكرة (القتل) إلى مادة أدبية تخييلية، و التخييلية لا تنفي صدق الواقعة و تحققها، بل تضيف لها الطابع (الإيحائي)، بما يجعل للقتل كفكرة منبوذة، إلى (القتل كموقف)، لقد قتل (يولويوس قيصر) في طفولة (حسين البرغوثي) و هو (قتل سينمائي) موازي لمقتله في الحقيقة منذ (قرون خلت)، لكن قتله في مرحلة الطفولة داخل عالم السيرة الذاتية لـ(حسين البرغوثي) لم يكن بنفس الفهم، بقدر ما كان عبارة عن (دهشة و صدمة)، لكن قتله في مرحلة (الوعي و النضوج) عند (حسين البرغوثي) له خلفية سياسية كصراع على الحكم.

بالنسبة لموقف (الطفل المبقور البطن) فهو حادثة أليمة تقع بشكل حقيقي في واقعنا العربي أو الغربي، و المجتمعات ليست بمعزل عن ذلك، نظرا لسوء القوانين العقابية و تردي الوازع الأخلاقي و الديني و تفشي المخدرات و كل الظواهر السلبية، فلذلك هذه الحادثة الأليمة كانت بالنسبة للبرغوثي، رمزية توضح أكثر مدى انجراف السلوك البشري نحو التدني و الانحطاط، لدرجة أن تتواطأ (المرأة الحنون/التي هي في مقام الأم) مع شبكات ترويج الممنوعات في بطن (طفل /بريء) ربما يكون مثل ولدها، هذه الحادثة الأليمة لم تكن لتؤثر سيريا في الكاتب (حسين البرغوثي) لو لم يكن كـ(مشاهد) أقرب سنا لذلك (الطفل المبقور بطنه)، فهنا السيرة الطفولية تدافع (لا شعوريا) على (الطفولة المهدورة).

إن هذه (الحادثة/الصدمة) حادثة (الطفل المبقور بطنه) شكلت في لاوعي (حسين البرغوثي، موقفا لاحقا منذ لحظتها، موقف أسس عليه قناعة أخلاقية، بنيت هذه القناعة على (الشعور بالكراهية) من كل ظلم متوقع، و السيرة الذاتية الذي يكون مجملها مبني على (القناعة الكارهة) يكون صقلها أدبيا و إنتاجها مخياليا ثري جدا، لأنه لا توجد يوتيوبيات و خلاص إنساني على سطح الأرض، بقدر ما توجد تلك العوالم المتناقضة، و ذلك الصراع الأبدي بين الخير و الشر؛ و لعل (فتحي المسكيني) الفيلسوف التونسي يوضح المسألة بقوله: "ليس هناك كره معزول، نحن نكره دائما داخل مخيل ما، داخل مساحة أخلاقية و حسب آداب و تقنيات غضبية معطاة سلفا، ربما يكون الكره مجرد إعادة تشغيل لانفعالات حزينة عاطلة عن العمل، انفعالات تعاني من نفسها، من سآمة ما و فشل ما، و يأتي الكره ليمنحها فرصة ذهبية للاشتغال و الحياة، لذلك كل مشاعر الكراهية لدى شعب ما هي انفعالات لا يمكن لأحد أن يسجلها باسمه أو ينسبها إلى شخص من الأشخاص، نحن نأتي إلى مشاعر سابقة علينا أو أطول عمر منا، و لذلك نحن لا نملكها، فالكره هو نوع من الانفعال الحزين

الذي يقع علينا أو على نفسه، و هو لن يكون مؤلما أو مسيئا إلا بقدر ما يفقد أسبابه المعقولة، و يتحول إلى ضغينة ذكية صالحة لإنتاج الهواجس الهوية"[1].

إن المرتكز الفلسفي لتحليل (المسكيني) لمشاعر (الكراهية)، وجدناه متسربلا في سيرة (البرغوثي) الروائية، متحجرا في أعماق لاوعيه الطفولي، فهو –ربما– نفسه لم يستطع تفكيك شيفرة (الكراهية) نحو مشهد (الطفل المبقور البطن) أو نحو خاتمة (يولويوس قيصر) السيئة و التراجيدية، لكن يبقى (الكره) بما كتلة هائلة من المشاعر الحزينة و الديناميت الضدي نحو (الآخر الجاني)، (الآخر الوحش) الذي هو –على الرغم من كونه عدونا النوعي– إلا أنه مؤسس جزءنا الغامض من سيرة حياتنا الخاصة، بل هو الأكثر إثارة لكونه يحرض على الجزء الخيالي فينا على الجزء الإنساني فينا، و غالبا ما يكون الجزء الخيالي فينا موضع و مرتع كل تلك (الصدمات و التشوهات) و التي في مجملها تكون حدث في (ماضي الطفولة) لا غير، حيث زمن المشاعر و لا زمن القوة (الجسدية أو الفكرية)، و هنا نستحضر كذلك واقعة أليمة على الكاتب (حسين البرغوثي) تعرض لها هو شخصيا –لكن دون خسائر ذاتية/جسدية– بل بقيت ندبة شكلية على النفس، يقول عن ذلك: "لم أدر أين أنا.. سألت رجلا عابرا في الزحام عن الطريق إلى (كورنيش المزرعة)، فنادى على شخص آخر و أوصاه بي، و مشيت مع هذا (الآخر) في شوارع كنت مشيتها ألف مرة سابقا، و لكنها بدت غريبة تماما، و لا أعرفها. عادة ما أستيقظ من هذه الحالة التي تشبه التنويم المغناطيسي أو (السرنمة/المشيء نائما) عند رؤية شيء معين أعرفه تماما، علامة ما تعيد لي الوعي المألوف، و فجأة، بعث الله بالعلامة: بمحل لبيع الورد في (الكورنيش) يقع بيتنا قربه، و استيقظت، و قلت للغريب: إن بيتنا هنا، لكنه حاول إقناعي بأن بيتنا بعيدا جدا من هنا. و لما رفضت، أخذ بعض الليرات التي عرضها علي للإغراء، حاول جري بالقوة من رسغ يدي. كنت قوي البنية، و وجد صعوبة في جري، و لم ينقذني غير رؤية شرطيين أمام مقر مجلة

[1]– فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية –مسائل فلسفية–، ط1، 2016، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 34.

(الحوادث)- بناية ذات بلكونات مرصعة ببلاط أزرق صغير، و كنت أسميها: (البناية الزرقاء)- فهددته بأنني سأستنجد بهما، و أشرت للشرطيين"[1].

إن رمزية هذه الحادثة و تلونها بلون (الأزرق) الرامي في مدلوله إلى (لون الإنقاذ)، عكست مدى ذلك الطابع التراجيدي المدججة به ذاكرة (البرغوثي) الطفولية، فالحادثة كان مقصدها هو أنه كان (البرغوثي) على مقربة من تعرضه لـ(الاغتصاب الجسدي/الجنسي) من شخص لا يعرف معنى (الأمانة)، بقدر ما يعرف كل الطرق المؤدية نحو (الرذيلة بخبث)، و لكون هذه الحادثة –على فظاعتها- لم تحدث، و نجى (البرغوثي) و حمته الأقدار –كما يقولون- إلا أن الأثر النفسي منها، حمله على جعلها مادة (سيرذاتية) مرصعة بالطابع (الأدبي/الإيحائي)، بمعنى أنه أعطى من (واقعية الاغتصاب الطفولي الغير متحقق) احتمالية وقوعه و تجسده مع نماذج طفولية أخرى، في حالة لم يكن لهذه النماذج/الضحايا (شرطيين عابرين) كرمزين مفترضين للحماية الطفولية، بمعنى أخر، يمكن أن نقرأ هذه المقتطفة الطفولية من حياة (البرغوثي) على أنها درس في الأخلاق الاجتماعية الزائفة، و المليئة بتشوهات الكذب و النفاق.

إن سبب اعتماد (البرغوثي) على عمل الذاكرة الشخصية الممثلة في جزئها الطفولي، البعيد من حيث المسافة الزمنية، لهو دعوة منه لإعادة فتح ملفات هذه الذاكرة للتعرف على الماضي الشخصي في الواقع الشخصي، لكن بفارق زمني مهول، يترجمه كذلك تطور (الوعي الذاتي) في صيغة (تجربة ذاتية مُعاشة) (من و إلى)، و التعرف على الماضي ليس مجرد عبث ذاتي غرضه محاورة الذاكرة و ما تختزنه من (وعي طفولي شقي)، بل هو "وضع الماضي على مسافة من الإنسان، هو الذي يتيح بناء هذا الماضي بناء جديدا، لنجعل منه مزيجا مركبا من التاريخ و الخيال، من الحقيقة الوقائعية و الحقيقة الجمالية، و تطمح إعادة البناء هذه إلى إيضاح الذات و تقديمها، و الواقع أن فعل الذاكرة الذي يبرز في قصص

[1]- حسين البرغوثي: الضوء الأزرق –سيرة ذاتية، ص 9.

الحياة أو في السير الذاتية يوضح هذه القابلية الانسانية بصورة نوعية، قابلية تكمن في القدرة على الاطلال على ماضينا الخاص لجرد ما يبقى منه وليس لجرد المعيش"[1].

و هو ما أقدم عليه –بكل جرأة– الكاتب (حسين البرغوثي) غير متحرج من حادثة الطفولة الشخصية الخاصة به (حادثة محاولة الاعتداء الجسدي)، ظنا منه، أن تفريغ الذاكرة من تلك الأحداث و الهامش الشخصي كفيل بإحداث خدمتين: الخدمة الأولى، هو تخليص (الأنا) من غمرة علائق الماضي و صدماته الأليمة المحنطة في الذاكرة، و أما الخدمة الثانية، فهي ذات وجهين: وجه أدبي جمالي، و وجه أخلاقي يحث على مخاطبة (الأنا الجماعية) التي مصدرها المجتمع بكل قيمه و أعرافه، و محاولة توجيهها نحو تلك الحقائق المدفونة في شكل (أسرار شخصية) لكل (أنا فردية)، بالنسبة للوجه (الجمالي/الأدبي) يمكن وضع هذه (السيرة الذاتية) في قالبها (الروائي) حيث تختلط (وقائع التاريخ) مع (قدرات التخييل)، لينتجا معا (تاريخا سيريا مخيلا)، لكن لا يمنع ذلك من النظر إليه بشكل أو بآخر، أنه تاريخ يعمل حامله على جعله (أسطورة ذاتية)، و هنا يفقد (التاريخ السيري) كل مصداقيته بانعكاس (قوة الأسطرة).

من خلال الارتكاز على (الذاكرة الطفولية) أنعش (حسين البرغوثي) سيرته الذاتية، لتتخذ هي الأخرى طابع الرواية الواقعية، لكن واقعيتها تلك ما كان لها لتظهر بهذا الوهج السيري، لولا اقتحام لعبة التاريخ فيها، فالتاريخ الشخصي و التاريخ الاجتماعي و حتى التاريخ السينمائي، وظفوا بمجملهم كتاريخ جاذب للتاريخ الطفولي، و لأن "اللقاء بين الرواية و التاريخ يتم ضرورة وفق ملابسات يتخذ فيها التاريخ صورة مختلفة باختلاف مفهوم الرواية، ففي الرواية الواقعية يغدو التاريخ قوة يحول بها الحاضر، و من ثم فإن النقد يوجه إلى فهم الماضي و فهم الحاضر على السواء، و هنا يتداخل التاريخ و الرواية و يغدو كل منهما صورة مرآوية للآخر"[2].

---

[1]– جويل كاندو: الذاكرة والهوية، تر: وجيه أسعد، ط1، 2009، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق– سوريا، ص 89.

[2]– محمد القاضي: الرواية والتاريخ –دراسات في تخييل المرجعي–، ط1، 2008، دار المعرفة، تونس، ص 82.

و هو ما تجلى من خلال استدعاء تاريخ الطفولة عبر استفزاز (عمل الذاكرة)، بغية تشريح هذا التاريخ السيري الخاص من جهة، و المشترك مع الآخر(الجماعة) باختلافها و اختلاف مواقفها من جهة ثانية؛ لقد أراد (البرغوثي) من خلال نسجه هذا الميثاق السيري مع نفسه تجاوز كل ما هو رسمي في حياته، من إجراء الإفصاح عن كل ما هو هامشي و مقلق في حياته، من خلال تفكيك و محاورة مل تلك العقد النفسية و الصدمات في باطن علاقاته الاجتماعية، لقد أراد (البرغوثي) الاستشفاء من الأمراض النفسية عبر السيرية من جهة، و عبر السريرية من جهة ثانية، إنها قوة الصدمات المنسية الغارقة في التاريخ النفسي للكاتب هي من تحرك نشوة و شهوة الكتابة السيرية في ثوبها الروائي المحض.

في ذاكرته اليافعة و الواعية (الشبابية) على غرار تلك الذاكرة السابقة (الذاكرة الطفولية)، يتطور مجرى الأحداث بتطور (وعي الذات) مع تطور الأحداث في الواقع المختلف؛ حيث يكثر نمط الرحلات و السفر عند الكاتب (حسين البرغوثي) و يكثر معه جمهور (المعارف و الصداقات) سواء التي يقمها بإرادته و طبيعته الاحتكاكية و الاجتماعية مع الأشخاص، مثلما فعل مع صديقه (بري) هذا الشخص و الشخصية الغريبة الأطوار في النص السير–ذاتي الروائي، أو التي تأتي فشكل مصادفات عابرة مثلما تمثل ذلك مع لقاءات لأشخاص (زنوج) أمريكيين يكابدون مشقة الاندماجالاجتماعي وسط المجتمع الأمريكي الذي يهيمن عليه (البياض العرقي)، و الواضح من خلال أحداث (السيرة الروائية الذاتية) أن الذاكرة الشبابية (البرغوثية) ممتلئة بالتجارب الفردية و الاجتماعية، التي صنعت منه في النص (ذاتا مفارقة)، حيث تكتنز مفارقات و جدليات حياتية و انقسامات هوية كبرى، يستحيل على القارئ فهم طبيعة انتمائه القومي، من جهة، و ينبهر بسرعة ذوبانه في أي مجتمع يختلف عن (فلسطين/الوطن الأم)، هذه القدرة العجيبة المتمثلة في مرونة التكيف مع الآخر المختلف، صقلت له شخصية تبتلع (ثقافات أخرى) و لا (تبتلع هي)، أي بقيت على جوهرها (الفلسطيني)، و هذا ما مكن لسيرتها الذاتية أن تحمل وجهين : (وجه سيري/ذاتي) و (وجه

استيطيقيمخيالي أدبي)، حيث استطاع (البرغوثي) تطويع سيرته بمرونة خياله الأدبي، و جعل الخيال في ملكوت (يده) و لم يكن هو أسير (الخيال)، جاء في النص: "و تذكرت، و تذكرت، و تذكرت، كل حياتي هكذا: مسلسل من (الذكريات)، و كل فكرة تقود لأخرى، تقود هي نفسها لأخرى، تقود هي نفسها لـ.. وذاكرتي ليست دقيقة أبدا، وعادة ما أبدل وأغير فيها، وأرمم، وأحذف، وأبقي، وأخترع ذكريات، وهكذا، وهكذا، وضعت رأسي على حافة الشباك وكأنني سأغسله في الفضاء الأزرق وحاولت ألا أتذكر شيئا أبدا"[1].

ان لتكرار لفظة (و تذكرت) لثلاث مرات متتالية، انعكاس دلالي قوي يفيد بأن صاحب (التذكر) يعيش على ذاكرة قوية مفعمة بالأحداث الهامة و الجدلية و الصراعية في حياته، و بطبيعة الحال، ستكون هذه الأحداث على أطياف من الثقافات و التشعبات و الإيديولوجيات، و بالنظر لطبيعة المرحلة العمرية (الشباب/القوة) التي تعكس كذلك (كثرة السفريات)، فإن لتكرار هذه اللفظة (و تذكرت) باعث دلالي هو (قوة المحتوى السير–ذاتي) للكاتب، هذا الأخير ربط به مساره السفري علاقة حوارية مع أحد (المتصوفة الأتراك) من بلدة (قونية)، و تعلم منه الكثير، و كذلك ربط به مساره السفري علاقة حوارية مع صديق يدعى (بري)، و خاض معهم جميعا تجارب و حكم و فلسفات في الوجود الاجتماعي و فهم ثقافات القوميات الأخرى، جاء في الرواية: "اسمع يا رجل : الحياة نهر و كل يغترف منه بحجم فنجانه.. فنجانك صغير.

قلت بسخرية و هدوء، ناويا أن أدفع غضبه إلى أقصى مدى ممكن:

(وما هو فنجاني؟).

قفز للمطبخ وأحضر فنجان شاي فارغا، ثم هزه أمام عيني وقال:

(ما هذا؟)

(فنجان).

[1]– حسين البرغوثي: الضوء الأزرق –سيرة ذاتية، ص 90.

(هل تسميه فنجانا إن كنت تستطيع أن تصب شايا فيه فقط، وليس قهوة أو عصير تفاح، مثلا؟)

(لا)

(وإن كنت تستطيع أن تصب قهوة فيه فقط، وليس ماء أو عصيرا، مثلا، هل تسميه فنجانا؟)

(لا)

(لماذا؟)

(لأن من طبيعة الفنجان أن يكون فيه فراغ ما، ومن طبيعة الفراغ أن أستطيع أن أصب فيه ما أريد).

(هذا هو الذهن: فنجانك الذهبي. من طبيعة الذهن أن يكون فارغا، ومن طبيعة الفراغ أن يكون قابلا لأن تصب فيه أي رأي، أو نظرية، أو مذهب، أو معرفة، أو شعور، أو ذكريات. ميز بين الذهن ومحتواه كما تميز بين الفنجان والشاي الذي في الفنجان، يا رجل!"[1].

نلاحظ أنه من خلال هذا الحوار الفلسفي الجريء و الممتلئ بالحكمة و الذهول من اللغز الفلسفي لفلسفة (الفراغ و الامتلاء) كصورة تقريبية لمحتوى (الذهن البشري)، كيف استطاع (البرغوثي) تحويل الصراع الحقيقي الواقعي مع صديقه الحكم، من حدث تاريخي سيري/شخصي وقع بالفعل، إلى قطعة أدبية حجاجية هدفها استمالة (وعي القارئ) نحوى المنحى الفلسفي لهذا الغطاء الأدبي؛ فباعتماد (البرغوثي) على (الذاكرة الشبابية) هو برهان على تقلب الأحداث الشخصية في نفسه، فديناميكية الأحداث المسترسلة في الحكي و الغرف من معين الذاكرة، كان متعدد و متشعب، إنها (فوضى الذاكرة) أمام (موضوعية التاريخ)، إن التاريخ مع العمل (السير–روائي) لن يستطيع التقيد بتحليله الموضوعي، أو التشكيك في صدقية بعض المواقف الأقرب إلى (الأسطورة الشخصية) في حياة و فواصل (الكاتب)،

[1]– حسين البرغوثي: الضوء الأزرق –سيرة ذاتية، ص 93– 94.

لأنالأخير لم يكن هو نفسه على موضوعية مع حياته، لأنه غير راض على بعض (منغصات الذاكرة)، و بالتالي فإن (عدم الرضى) نفسه هو (ذاتية جلدية/جلد الذات)، على غرار تلك (الذاتية/النرجسية)، و لكي نكون منصفين أمام عمل كل من (الذاكرة و التاريخ)، لابد من الفصل بينهما، كما يعتقد المؤرخ الفرنسي (فرانسوا دوس) حينما قال: "تقع الذاكرة حسب (موريس هالي فاكس) في كل ما هو متقلب، و متحرك، و متعدد؛ فهي تقع في مجال المعيش، و الحميمي، و الصورة، و الوجدان، و السحري؛ بينما يقع التاريخ في حدود المفهوم، و الحس النقدي، و التوضيح العلماني، و العقلانية. بهذا المعنى، أكد (هالي فاكس) في (الذاكرة الجماعية) أن التاريخ لا يبدأ بالفعل سوى في اللحظة التي تمحى فيها الذاكرة، تاركا المكان للخطاب التاريخي في الوقت الذي تنتفي فيه الذاكرة"[1].

و هو ما تجلى من خلال تأرجح النص السيري (الضوء الأزرق) بين أضواء عدة، أصفر، أحمر، أخضر، أسود، بنفسجي، أبيض، و في هذا الكم الهائل من الألوان، تتشقق ضروب التذكر الشخصي للأحداث، من جهة، و من جهة ثانية يختار التاريخ ضوءه المتناسب مع موضوعيته و نقديته، هذا لا يعني بطبيعة الحال، أن كل تلك الأضواء المتشبعة بها (الذاكرة) مجرد وهم ضوئي، بل هي أضواء فيها من السطوع الزائد حد أنه يرغم الرائي على اعتقاد أن الضوء المنبعث عديم اللون، إن التاريخ في نطاق الأعمال السيرية، مفيد من حيث كونه يصحح بعض الأخطاء النقلية لهموم و أشجان الماضي، و جعلها أقرب ما تكون للمعقولية و التقبل، فبعيدا عن تلك الروح المظلومية و الحياة الهامشية و القعر الوجودي العبثي المرتمي في أحضانه (الكاتب)، إلا أن ضوء (العقلانية) هو الضوء المناسب للتكيف المعيشي و حتى لنقل هذا التكيف المعيشي.

ومن غرائب (البرغوثي) أنه عمل على تعضيد البناء السيري–الذاتي، بسرد التاريخ الإسلامي القديم، مستدعيا رموزا قوية في صراعه مع ذاته، جاء في النص: "في ذلك

---

[1]– الاعتراف في ترتيب علاقة الذات بالآخر: حوار مع المؤرخ الفرنسي (فرانسوا دوس) – محمد شوقي الزين، مجلة: يتفكرون –فصلية، فكرية، ثقافية، العدد الرابع صيف 2014، بعنوان: الهوية والذاكرةومسارات الاعتراف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2015، الرباط– المغرب، ص 64.

الصالون، كتبت الفصل الأخير من رواية (الضفة الثالثة لنهر الأردن)، كتبها حسين آخر، شخص يشبه (مناحيم ميلسون)، ويشمع ليلا في الجبال حركة أرنب بري يقضم آخر خيط يربطه بالواقع، وكتبت مع الصديق نفسه الذي دعاني للشقة قصيدة فجة، كنا نعتقد أنها جميلة، أهديناها لمدرب الكاراتيه:

(سأدخل في هذه الشقة الخالية

تلفنوا لي: سأترك قرب الهاتف فيها ذاتي الثانية

ثانيا: العتبات النصية (الأغلفة- العنوان ....) في رواية (الضوء الأزرق) لحسين البرغوثي:

العنوان:

يشكل العنوان عنصرا أساسيا في النص لتعدد وظائفه، فهو بؤرة تشويقية للقارئ ومفتاح يساعده للولوج إلى عالم النص، إلى جانب هذا يعتبر من الثوابت المهمة لجنس رواية السيرة الذاتية، الذي يوحي بأن كاتبها يروي قصة حياته، ومن المعروف في عالم أنه إذا كان اسما فمن المفضل أن يكون نكرة ليترك للقارئ مجالا للبحث عنالعنونةتحديد اللامحدود وتعيين اللامعين.[1]

يضع بالميثاق السير الذاتي حدا فاصلا بين تداخل الأجناس الأدبية، فهو يحدد ماهيةالنص إذا كان سيرة ذاتية من خلال المؤشرات الواردة فيه دون اللجوء إلى العوامل الخارجية لإثبات ذلك، فوجوده يستلزم تحقيق علاقة التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية، مما يضع النص ضمن جنس السيرة الذاتية، يقول "فليب لوجون" في هذا الشأن: "في السيرة الذاتية نفترض وجود تطابق بين الكاتب من جهة والسارد والشخصية البطلة من جهة أخرى، وهذا يعني أنّ الأنا يحيل إلى الكاتب، ولا يتم إثبات ذلك إلا من خلال النص.[2]

[1] خليل شكري هياس سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الأميرات)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005، ص 12.

[2] NajibaRegaieg, de l'awobigraphie à la fiction ou loge (u) de l'exuteure dans l'oeuve d'AssiaDjebar, Med ali Edition 1er tirage, sfar, 2004, p35.

وتكمن أهمية الميثاق السير الذاتي في كونه عبارة عن اتفاق يعقده المؤلف مع القارئ ومن خلاله يوجه القارئ وتحدد طبيعة قراءته، فالميثاق يقود القارئ إلى التعرف على الحقائق المتعلقة بتاريخ شخصية معينة وغياب هذا الاتفاق يجعل القارئ يعيش مع

تجربة خيالية من صنع الكاتب ويوقع القارئ في مأزق التجنيس وضبط هوية النص.

وقد تناول فليب "لوجون" قضية الميثاق وجعله واحدا من العناصر القادرة على الفصل بين السيرة الذاتية وغيرها من الأجناس الأدبيّة المتعالقة من خلال أربعة عناصرهي:

شكل اللغة:

أ. حكي.

ب. نثري.

1. **الموضوع المطروق:** (حياة فردية وتاريخ شخصية معينة).

2. **وضعية المؤلف** : تطابق المؤلف الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية والسارد.

وضعية السارد:

أ. **تطابق السارد والشخصية الرئيسية.**

ب. **منظور استعدادي للحكي.**[1]

إن أول ما يصادفنا في هذه السيرة هو العنوان الملفت الضوء الأزرق" الممتلئ بالمعاني التي تفتح التوقعات أمام القارئ ، فالضوء يوحي بالنور والإثارة والإضاءة التي توضح رؤية الأشياء التي حولنا، وهو الأمل الذي ينتظره الإنسان ويتمناه ويسعى من أجل تحقيقه، أما الأزرق فهو لون يحمل لكل إنسان معايير مختلفة وملتصقة بأصحابها، وهو لون هادئ مريح للنظر فالله سبحانه وتعالى اختاره للسماء والبحر ورغم هذا الانفتاح في السماء والبحر، فإن فيهما من الغموض الشيء الكبير، فعندما ننظر إلى السماء الزرقاء في النهار نرى انفتاحا لا نهائيا وتختلف النظرة إليه في الليل عندما يختفي اللون الأزرق وتترصع السماء

[1] فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص35-36

بالنجوم، وكذلك البحر بزرقه سطحه وتكون أعماقه الأزرق يرسل موجات مريحة وهادئة، أما في القاموس الذاتي للإنسان يرى أن الأزرق لون يذكره بالبحر والسماء، أما ما يعنيه الأزرق لحسين البرغوثي فهو منافي تماما، فهو طاقة الشر، الحزن، والسلبية، فيقول "الأزرق" لون النفس الأمارة بالسوء، نفسي كانت تأمرني ليس فقط بالسوء بل حتى بالجريمة، كنت أخشى من أن تنفصم شخصيتي وتقوم إحدى الشخصيتين باقتراف جريمة لا تعرف عنها الشخصية الأخرى.[1]

ويبدو أن حسين البرغوثي أراد أن يستفيد من هذا التلون فعمد إلى الضوء الأزرق الذي شغله معظم الوقت في الوصول إلى تفسير له ولكن دون فائدة، فبدأ بالحديث عن ذاكرة الألوان في داخله، فقد شكل اللون الأزرق هاجسا كبيرا في حياته منذ طفولته في الرواية فزرقة، البحر وجبال الطفولة الزرقاء وحانة القمر الأزرق في صياغة وكذلك الأفكار والقصص التي ذكرها في سيرته، كلها تبين سر الضوء الأزرق في ذات حسين البرغوثي ، ومن هنا أتساءل فيما إن كان حسين البرغوثي قد أراد الانقلاب إلى الأنا العليا، نتيجة إصابته بجنون العظمة ليصبح الكون والرواية كله معاني ودلالات بلاحدود لضوئه الأزرق، وعليه أستطيع القول بأنه كان موفقا بدرجة عالية بهذا العنوان بوصفه دلالة مستقلة، وكذلك بوصفه ألوان متجهة إلى العمل نفسه من منظور فلسفته الخاصة، وتوضيحه سر اهتمامه باللون الأزرق الذي رافقه منذ الطفولة، وشغف الكاتب باللون الأزرق دفعه للبحث عن معناه في الأساطير والحكايات القديمة والمواضيع المتناولة في الرواية ما أكد لي أنه هو واللون الأزرق عملتان لقناع ووجه واحد.

الألوان:

تشكل الألوان مظهرًا من مظاهر الطبيعة، وهي تمثل إضافة جمالية في الأعمال الأدبية؛ إذ إنها تعبر عن مشاعر الأديب وترمز للمشاعر من فرحوحزن وألم وتحمل دلالات فنية ونفسية واجتماعية ورمزية.

[1] حسين البرغوتي، الضوء الأزرق، مرجع سابق، ص. 24.

فنجد أن دلالة اللون الواحد تختلف من نص إلى نص آخر، وكل نصمختلف يضيف معنى عن الآخر بحسب إبداعات الأديب وإمكاناته م إن أول ما يصادفنا في هذه السيرة هو العنوان الملفت الضوء الأزرقالممتلئ بالدلالات التي تفتح التوقعات أمام القارئ.

ونجد الكاتب يقدم العديد من التصورات والانطباعات التي تبرز مكانة الضوء الأزرق واهتمامه به وذلك واضح على مدار صفحات السيرة.

فيبدأ بطرح عدة صيغ منقولة تعمق من دلالة اللون الأزرق، وتحيل إلى مكانته عند بعض الثقافات ومدى أهميته، لتضعنا في لب عنوان السيرة،وتشكل نمطامنالمناصات التي تكون بنية نصية مستقلة بذاتها ومتكاملة، لهابداية ونهاية.

يقول الكاتب:

- الأزرق مهدئ للأعصاب.
- "يقولون في بوذية التبت: إن الأزرق هو لون أول كائن فاض عنطبيعتنا الأولى، التي لا لون ولا هيئة لها

فاهتمامه باللون الأزرق يتوزع بين جنبات السيرة، وهو يترك العنان لنفسه ليطلعنا على خبايا ذاته العالقة في مراحل متفرقة من حياته، وهي تبينعن ذاتٍ متذبذبة بين الماضي والحاضر، قلقة بشكل جلي من المستقبل. وهو يوظف ذاكرته لاستعادة بعض المواقف والأحداث لتفسير رؤيته.

إذ يعيد ذكر قصة زرقاء اليمامة من المخزون التاريخي لديه كخطاب منقول مقيما التواصل بين الماضي والحاضر ويطرحها على هيئة مناصة:

زرقاء اليمامة أشهر عرافات العرب قبل الإسلام. قيل إنها كانت أبصرمن يبصر عن بعد، وكانت تمسح المسافات بعينيها وتنذر قومها بما ترى... قبضوا على زرقاء قلعوا عينها بحثا عن سر قوتها فوجدوهما محشوتين بالإثمد الأسود وهو حجر يدق وتكتحل نساء العرب ورجالاته بنثاره.

كما أنه يتفنن في ذكر مزيج من الألوان الأخرى، فمن حجر الإثمد الأسود ينطلق متحدثا عن الحجارة السوداء) جالبًا أسطورة (عشتار) الربة القمرية القديمة، في تناص يأتي مندمجا مع النص.

فلم يقتصر على اللون الأزرق، فثمة حديث عن ألوان أخرى لتمثيلتجاربه وخطاباته، ولكن تلك الألوان تأتي متوارية خلف الأزرق.

ثالثا: مقدمة محمود درويش وإشكالية النص:

شكلت العتبات النصية في مقدمة درويش أهمية بالغة في توجيه القراءة، وتأطير النص وهذا ما لمسناه في المقدمة التي كتبها برواية " الضوء الأزرق " إذ قدم فيها خلفية ثقافية لحسين البرغوثي.

فالكتابة عنه أشبه بالحفر والتنقيب، أو الولوج إلى الداخل شجاعة مجنون، ولأن النفس هبطت إلى هذا العالم وسكنت الجسد، مابين الرقص الروحي والصعود إلى الأعلى.

وضع حسين البرغوثي الضوء الأزرق في قالب فلسفي أقرب منه إلى الجنون يحاكي العقل.

فالمقدمة إذن بوصلة شاعر متلقي في رصد التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية لفلسطيني أثناء الانتداب البريطاني، مع محاولة إعطاء إشارات حول الرؤية الفنية التي

اعتمدها الكاتب، إضافة إلى فك شفرات الرموز والمفاهيم الثقافية التي انطوى عليها العمل الأدبي.

ومن بين الإشكالات التي تعيق القارئ في هذا الإبداع:

–عدم وضوح الحدود بين الواقع والخيال، بين الذكرى والحدث، عبارات تتطلب إدراكا فاحصا " الشعور القوي بالتلاشي ".

انه نص إبداعي من تأملاته في الطبيعة والوجود، في المكان والزمان، نص له مرجعيات كثيرة، انه نص تحضر فيه الأديان والأخلاقيات والنظريات والفلسفات حول التكوين الأول للوجود. انه نص لا يصنف في جنس أدبي واحد لا هو سيرة ذاتية، ولا هو رواية

انه خليط من الاعترافات العاطفية الشخصية والتأملات الفلسفية، يمكن القول انه جامع للأجناس الأدبية: يوميات، مناجاة، تفسير أحلام...وغيرها، لدى البرغوثي سحر يقود القارئ إلى التأويل حينا والى التخيل أحيانا ...

انه كتاب فريد من نوعه في الكتابة العربية، ولعله أجمل انجازات النثر في الأدب الفلسطيني. وبشكل عام، تبقى رواية "الضوء الأزرق" تحديا للقراءة وذلك لتعدد الرموز والدلالات والعبارات الأدبية التي استخدمت فيها.

خاتمة

عندما تنتهي من قراءة هذه الرواية لا تعرف ما هي بالضبط؟ أو إلى أي جنس أدبي تنتمي: هل هي رواية، سيرة ذاتية أم تأملات وخواطر؟أم هي كل هذا بشكل جميل ، حين قراءته في البداية يصعب علينا تحديد نوع الرواية : هل تتحدث عن حياته أم تتحدث عن الشخصيات الموجودة في حياته ، أم تتحدث عن تأملاته وخواطره أو الأشياء التي يفكر فيها فالكاتب هنا يكلمنا عن أجزاء من حياته بطريقة أدبية وعن شخصيات في حياته بطريقة روائية جد جميلة في نفس الوقت تجد الكاتب يحكي أفكاره وخواطره التي كان يفكر بها والهواجس الوجودية المرافقة له ، من خلال فترة كتابته للرواية نجده يتحدث عن الغربة ، ثم يتحدث عن الشخصية البوهيمية التي ترافقه في حياته خلال تلك الفترة ، ثم يتحدث عن شخصية متناقضة عن شخصيته البوهيمية ، يقفز من قصة لقصة ، من شخصية لشخصية ليصل في النهاية للقول أن هناك خيط دقيق متصل بين هذه الشخصيات وبين حياته بشكل كامل ، وهنا المتعة في هذا العمل الأدبي .

إن هذا العمل مميز، بل وباختصار اللغة الأدبية والأفكار الوجودية الجميلة والتأملات الموجودة فيه بديعة جدا، يعني بحد ذاتها متعة جمالية لابد أن نعيشها.

وبعد رحلة البحث هذه والتي قامت على الأنموذج المتمثل في سيرة الضوء الأزرق لحسين جميل البرغوثي،توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها كالآتي:

تتداخل السيرة الذاتية مع الرواية وتشكلان معاً السِّيرة الروائية التي تأخذ من السيرةالواقع،ومن الرواية التخيل.

السيرة الذاتيةجنسلهبوادرغربية قديمة،وعربية،وهو قائم بذاته له مميزاتتفرقه عن المذكرات والرسائلوغيرهما.

إنَّ قراءة السيرة الذاتية تُمكننا من معرفة الحقبة التي كُتبت فيها،وهي بالتالي تساهم بصورة واضحة فيحفظالتاريخ من الضياع، كما حافظت رواية الضوء الأزرق على الميثاق السير ذاتي والمتمثل في توظيف شخصيات حقيقية، وضمائر المتكلم.

تميزت سيرة البرغوثي بوجود تطابق بين المؤلف، السارد والشخصية.

إنَّ موضوعات السِّيرة متداخلة فيما بينها، فالموت في الغالب ناتج عن الاحتلالكما أن الاغترابوالشتات نتيجة حتمية له، إن الأدب الفلسطيني أدب زاخر بالكثير من المواضيع المتاحة للدراسة، وكم كان ممتعا لنا الخوض في هذه التجربة مع أدب كان ولا يزال يصارع الاحتلال.

التجريب قرين الإبداع لذلك فإن البرغوثي قد أبدع في هذه السيرة التي كانت أقرب للرواية، ثم نقول أنها سيرته الذاتية، نعود ونقول هي جملة من الخواطر

لنصل في الختام إلى أنها جنس متكامل، هي كل هاته الأجناس الأدبية في قالب أدبي رائع لأديب أروع.

هذه الرواية قد تكون مادة قيمة لمن أراد التوسع أكثر في دراستها والبحث في مضامينها.

وفي الأخير لا ندعي أننا أجبنا عما طرح من إشكالات، لكن نتمنى أن يضيف هذا البحث إضاءة جديدة إلى صرح الدراسات المهتمة بالأدب السير ذاتي راجين أن يفيد كل مطلع على فحواه.

ملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): شبيكة نعيمة الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 209374042 والصادرة بتاريخ: 04.11.2023 بدائرة المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي**
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
التجريب والتجنيس في رواية الضوء الأزرق سيرة لحسين جميل البرغوثي.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 30/10/2024

إمضاء المعني

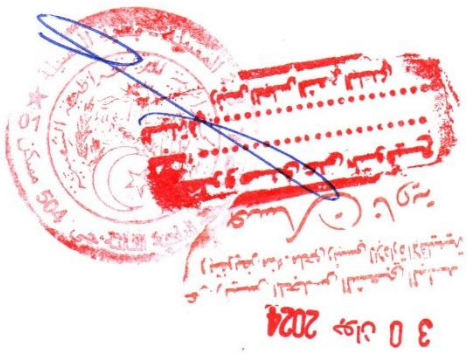

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن عزوز عنابرة الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 203167780 والصادرة بتاريخ: 2018/7/18 بدائرة المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي الحديث**
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
التخريب واشكالية التجنيس في سيرة (الصوت الآخر) لحسين جميل البرغوثي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في 2024.06.13

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

نبذة عن حسين البرغوثي:

1. التعريف بالكاتب حسين جميل البرغوثي: (1954-2002).

حسين البرغوثي شاعر ومفكر فلسطيني ولد سنة 1954 في قرية كوبر الفلسطينية شمال غرب مدينة (رام الله) .

أمضى طفولته مابين مسقط رأسه في كوبر حيث أقامت والدته ، وبيروت حيث كان يقيم والده ، درس العلوم السياسية واقتصاديات الدولة في جامعة بودابست للعلوم الاقتصادية في هنغاريا ، تحصل على بكالوريوس في الأدب الانجليزي من جامعة بيرزيت سنة 1983 وعمل فيها كعميد ، تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب المقارن بين عامي 1985-1992 من جامعة واشنطن في سياتل ، عمل أستاذا للفلسفة والدراسات الثقافية من جامعة بيرزيت حتى عام 1997،وأستاذا للنقد الأدبي والمسرح في جامعة القدس حتى عام 2000 ، وأثناء هذه الفترة كان عضوا مؤسسا لبيت الشعر الفلسطيني وعضوا للهيئة الإدارية لإتحاد الكتاب الفلسطيني ، ورئيسا لتحرير مجلة أوغاريت ومديرا لتحرير مجلة الشعراء ، فارق حسين البرغوثي الحياة بسب إصابته بمرض السرطان تاركا خلفه مايزيد عن 16 عملا أدبيا توزعت بين الشعر والرواية السير الذاتية والنقد إضافة إلى العشرات من الأبحاث والدراسات الفكرية والنقدية التي ترجمة إلى عدة لغات ونشرت بالعديد من المجلات والصحف كما كتب سيناريوهات أربعة أفلام سينمائية وكتب نحو سبعة مسرحيات لفرق محلية وعالمية إضافة إلى كتابة الأغاني لفرق موسيقية مختلفة .

2. أعماله:

- **أعماله الأدبية والفكرية:**

1- أزمة العشر المحلي – دراسة – دار صلاح الدين – القدس /1979م .

2- سقوط الجدار السابع – رواية – دار العامل – رام الله / 1981 م.

3- الضفة الثالثة لنهر الأردن – رواية – دار الشروق – رام الله/ 1983م .

4- ديوان ليلة وتوبة – شعر –اتحاد الكتاب الفلسطينيين القدس /1982 م.

5- سأكون بين اللوز – رواية – سيرة ذاتية – نشر بعد وفاته عام 2002 في مجلة الكرمل الفلسطينية.

6- حجر الورد نص مابعد حداثي ، اصار عائلة المؤلف مطبعة أبو غوش /2004

أفلام:

1- حريتي المفقودة فيلم سينمائي من إخراج عيسى ،فريج 2006 م.

2- الغرباء فيلم وثائقي ، من إخراج وائل أبو دقة ، 2007 م.

3- توتر فيلم وثائقي .

4- المعصرة فيلم روائي .

نصوص للمسرح:

1. وجوه، مسرح القصبة، القدس، 2007م.
2. حفلة على غفلة مسرح الحكواتي، باريس، إخراج فرانسوا أبو سالم، 2001م .
3. روميو وجوليات، ترجمة وإعداد، 2003 م.
4. قصة ساحة الورد .

أغنيات:

كتب حسين جميل البرغوثي العديد من الأغاني للفرق الغنائية الفلسطينية ومنها ألبوم (جاي الحمام) و (موت النبي موسى) وتعد أغنية (رصيف المدينة)أولى الأغنيات التي كتبها ، وكتب أغنيات لفرق الرحالة والسنابل وأحياء بلدنا ، وبعد رحيله غنت فرقة تراب الفلسطينية عدد من أغانيه .

الضوء الأزرق
تقديم : محمود درويش
حُسين جميل البرغُوثي
الضوء الأزرق

ملخص الرواية:

الضوء الأزرق لحسين جميل البرغوثي رواية جمعت بين السيرة الذاتية والتأملات الفلسفية ، بل هي عمل أدبي غني بكل الأفكار العميقة ، هي تجربة شخصية عاشها البرغوثي أثناء إقامته في مدينة سياتل الأمريكية.

مرت هذه التجربة بنوع من الضياع والتشتت ، باحثا عن فهم لذاته وللعالم الذي يدور حوله ترصد بداية الرواية حياة البرغوثي في سياتيل بين مجتمع من المجانين والمنبوذين ، هذا المجتمع الغريب عن عاداته وتقاليده ، فيلتقي بشخصيات عدة مثل التركي المتصوف "بيري" ذلك المتشرد الذي يملك من الحكمة ما يملكه فيلسوف عبقري فذ ، حيث أصبح الصوفي مصدر إرشاد روحي لحسين ، فأخذ يعلمه كيف يفكر ، كيف يتأمل في الحياة لكن بطريقة مليئة بالجنون والحكمة الرمزية .

الأزرق هو رمز مركزي في الرواية، يعبر عن مشاعر الحزن الغربة والصفاء، فنجد هذا اللون مكرر في طفولته وكذا تجارب حياته، فلو نظرنا إلى اللون من منظور علم النفس لوجدناه مرتبط بالهدوء والصفاء والرخاء، لكن أيضا يعبر ويرتبط بالعزلة والحزن.

الرواية عبارة عن تأملات في قضايا فلسفية عميقة كالانتماء الهوية إلخ ، فالكتاب يحمل مواضيع مثل الجمال التفكير والشعور بالانتماء ، في حين نجده يطرح العديد من التساؤلات فحسين يرى أن المشكلة تكمن في الطريقة التي تفكر بها وفي الزاوية التي ترى بها الأمور وليس في الأمور التي نفكر بها . فالكتب يحدثنا عن أجزاء من حياته بطريقة أدبية .

إن هذه الرواية عمل مميز،باختصار فإن اللغة الأدبية والأفكار الجميلة والتأملات الموجودة بها بديعة جدا.

يعني كما سبق لنا الذكر هذه الرواية متعة جمالية لابد أن نعيشها، متعة تدمج بين السيرة الذاتية والفلسفة بأسلوب مميز ومبتكر.

Résumé du roman :

La lumière bleue de Hussein Jamil Barghouti est un roman qui combine biographie et réflexions philosophiques. C'est une œuvre littéraire riche de toutes les idées profondes. C'est une expérience personnelle que Barghouti a vécue lors de son séjour dans la ville américaine de Seattle.

Cette expérience a traversé une sorte de perte et de fragmentation, à la recherche d'une compréhension d'elle-même et du monde qui l'entoure.

Le début du roman suit la vie de Barghouti à Seatel entre une société de fous et de parias, une société étrangère à ses coutumes et traditions, et rencontre plusieurs personnages tels que le mystique turc "Perry" est un vagabond qui a la sagesse d'un exploit de philosophe de génie. Le mystique est devenu une source de conseils spirituels pour Hussein, lui enseignant comment penser, comment réfléchir sur la vie, mais d'une manière pleine de folie et de sagesse symbolique.

Le bleu est un symbole central dans le roman, exprimant des sentiments de tristesse et de sérénité étranges, trouvant cette couleur répétée dans son enfance ainsi que ses expériences de vie. Si nous regardons la couleur d'un point de vue psychologique, nous la trouvons liée au calme, à la sérénité et à la prospérité, mais aussi à l'isolement et à la tristesse.

Le roman est une réflexion sur des questions philosophiques profondes telles que l'identité, etc., le livre porte des thèmes tels que la pensée de la beauté et le sentiment d'appartenance, alors que nous le trouvons posant de nombreuses questions. Les livres parlent de parties de sa vie d'une manière littéraire.

Ce roman est une oeuvre distinctive. Bref, le langage littéraire, les belles idées et les reflets qu'il a sont très beaux.

Comme mentionné ci-dessus, ce roman signifie un plaisir esthétique de vivre, un plaisir qui combine la biographie avec la philosophie d'une manière distinctive et innovante.

ملخص المذكرة :

جاءت الدراسة بعنوان التجريب والتجنيس في رواية الضوء الأزرق لحسين جميل البرغوثي حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن التجريب وتحديد جنس هذه الرواية خاصة أن هذه الرواية تحمل في دلالاتها تطبيقات لهذين العنصرين .

طرحنا الإشكالية التالية: أين يظهر التجريب في رواية الضوء الأزرق وإلى أي جنس تنتمي الرواية ؟

ولتطبيق هذه الدراسة ثم الاعتماد على المنهج التاريخي وكذا النفسي بالإضافة إلى آلية الوصف والتحليل وذلك أن هذين المنهجين يساعدان على التعمق في الرواية وفهمه، وإدراك أهمية التجريب للوصول إلى تحديد جنس هذه الرواية السيرذاتية .

تطرقنا في هذه الدراسة من خلال مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة ، حيث جاء الفصل الأول بعنوان هوية نص الضوء الأزرق تناولنا فيه بنية الرواية من حيث الشخصية الحدث الزمان والمكان ،أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان الميثاق السيرذاتي لدى البرغوثي .

الكلمات المفتاحية : التجريب . التجنيس . رواية الضوء الأزرق .حسين جميل البرغوثي الميثاق السيرذاتي .

Résumé de la note :

L’étude intitulée Expérimentation et naturalisation dans le Blue Light Novel de Hussein Jamil Barghouti vise à révéler l’expérimentation et à déterminer le genre de ce roman, d’autant plus que ce roman porte dans ses connotations les applications de ces deux éléments.

Nous avons posé les problèmes suivants : où l'expérimentation apparaît-elle dans le roman Blue Light et à quel genre appartient le roman ?

Pour appliquer cette étude et s'appuyer ensuite sur le curriculum historique et psychologique ainsi que sur le mécanisme de description et d'analyse, ces méthodologies aident à approfondir le récit et à le comprendre, et reconnaître l'importance de l'expérimentation pour arriver à la détermination du genre de ce roman en série.

Le premier chapitre, intitulé "Identité du texte de la lumière bleue", traite de la structure du roman en termes de personnalité, de temps et de lieu. Le deuxième chapitre était intitulé "La Charte d'autopsie de Barghouti".

Mots-clés : expérimentation. Naturalisation. Roman Blue Light. Hussein Jamil Barghouti

Charte autobiographie.

قائمةالمصادر والمراجع

أولا: المصادر

1 حسين جميل البرغوثي: الضوء الأزرق، سيرة ، دار ميم للنشر الجزائر ،ط3، 2010

أولا: المراجع

1. ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة الغربية للناشرين، تونس، د ط، 1988 .
2. إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات المعجم الوسيط،ج1، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،تركيا.
3. ابن منظور، لسان العرب،دار صابر ،بيروت لبنان،مج1، 1997.
4. احسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، لبنان، 1986 .
5. أحمد أمين،حياتي، الدار المصرية اللبنانية ط1، 2015،
6. احمد رحيم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، 2012 .
7. أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001.
8. الاعتراف في ترتيب علاقة الذات بالآخر: حوار مع المؤرخ الفرنسي (فرانسوا دوس) – محمد شوقي الزين .
9. ثائر زين الدين، في دروب السرد، دراسة تطبيقية في القصة والرواية، مكتبة مؤمن قريش، سوريا، ط1، 2011.
10. جليلة الطريطر: مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات)، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2004 .
11. جويل كاندو: الذاكرة و الهوية، تر: وجيه أسعد، ط1، 2009، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق– سوريا.

12. حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006 .
13. روجر آلن، الرواية العربية،ترجمة إبراهيم المنيف،المجلس الأعلى للثقافة ط2 1997،
14. زاوش رحمة التمرد في السرد السيرذاتي النسائي العربي المعاصر،سيرة نوال سعداوي أنموذجا، رسالة ماجستير قسم اللغة العربية وادابها جامعة السانيا ،وهران 2011/12/20 .
15. سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، ط1 بيروت – لبنان ، 1985
16. سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة، د ط، 1984
17. شريبط أحمد شريبط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1998 .
18. شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر،
19. شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الاتي ،السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، دار الجنود للنشر، تونس 1992 .
20. شوقي بدريوسف،الرواية التجريبية،مجلة الهدى دمشق،العدد1997،15.
21. صلاح فضل، لذة التجريب الروائي،مكتبة الساعي للنشر والتوزيع، الرياض السعودية،ط،1،2005
22. صلاح فضل،لذة التجريب الروائي،للنشر والتوزيع الرياض السعودية،ط1 2005،

23. عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1998 .

24. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار المعرفة، الكويت، ط1، 1998

25. عبد النور جبور ،المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان،ط8، 1984

26. عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

27. غاستون باشلار، جمليات المكان، ترغالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1984 .

28. لطيف زيتوني: معجم المصطلحات، نقد الرواية، منشورات دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001

29. لفيروز أبادي، القاموس المحيط ،ج1،ط3 ،المطبعة الأميرية الهيئة المصرية ،1301هـ.

30. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد11، عدد3، السنة2022.

31. محمد القاضي: الرواية و التاريخ –دراسات في تخييل المرجعي–، ط1، 2008، دار المعرفة، تونس .

32. محمد القاضي: السيرة الذاتية، مقاربة الحد والمفهوم، دار صامد للنشر، تونس، ط 03، 2010.

33. محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر ط2012.

34. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية أصولها واتجاهاتها اعلامها، دار المعارف، الإسكندرية، القاهرة.

35. محمد عبد الغني حسين التراجموالسير، دارالمعارف، القاهرة1955.

36. محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في ادب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا.

37. محمد منصور، خرائط التجريب الروائية، فاس،ط1 ،1999

38. وهيبة بوطغات، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، 2009-2008

39. يحيى ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، دار أحياء التراث العربي ، بيروت لبنان

40. يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955.

فهرس
المحتويات

الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل: السيرة الذاتية والمنجز العربي الحديث	
أولا: مفهومالتجريب التجنيس والسيرة الذاتية	04
ثانيا: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث	08
الفصل الأول: هوية نص (الضوء الأزرق)	
أولا: العنصر السردي الروائي	19
بنية الشخصية	19
الزمن في الرواية	24
بنية المكان	27
بنية الحدث	31
ثانيا: المظاهر السيرذاتية في الرواية	34
الهوية	34
الأقنعة	36
الفصل الثاني: الميثاق السيريو المتعاليات النصية	
أولا: تجليات طابع الميثاق السير- ذاتي في رواية (الضوء الأزرق) لحسين البرغوثي	39
ميثاق السير الذاتي	39
ثانيا: العتبات النصية (الأغلفة- العنوان) في رواية (الضوء الأزرق) لحسين البرغوثي	49
العنوان	49
الألوان	52

ثالثا: مقدمة محمود درويش وإشكالية النص	53
خاتمة	56
ملاحق	58
قائمة المصادر والمراجع	67
فهرس الموضوعات	72